النسخة
الثانية

# انتظار لن ينتهي

و

خمسون كلمة

أخرى

البراء بن محمد

1440
2018

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى والدي الحبيب، معلمي الأول، ومنبع الحب والعطاء.

إلى والدتي الغالية، صاحبة المناقب العالية، والجميل الذي لا يتناهى.

إلى شقيقي سلام الذي تعلمت منه الكثير، وتفضل علي بتصميم الغلاف الخارجي رغم وقته المحدود.

إلى كل من علمني حرفًا من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلوم الشريعة الغراء وسائر العلوم النافعة.

إلى كافة أصدقائي وأخلائي.

إلى كل من تمنى لي خيرًا وصلاحًا وفلاحًا.

# مقدمة النسخة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله معلم الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،

فقد اعتزمت -قبل عامٍ من الآن- على نشر كتابي (خمسون كلمة) متجاهلًا كل ما يتطلبه هذا القرار الضخم من إجراءات لا تقل أهمية عن ترويج الكتاب. كانت تلك النسخة التي قدمتها للقراء مسخًا مشوهًا يفتقر إلى الكثير من الصيانة والإصلاح. وقد كانت درسًا قاسيًا في خطورة تأليف الكتب. أن تؤلف كتابًا يعني أن تضع عقلك بين يدي الناس ليحكموا عليه. فما تكتبه انعكاس لما تعرفه. ولو كانت صناعة التأليف مجرد تسويد للصحائف، لما اختصت بنقل العلم، ولما ارتقت لغتها عن لغة البسطاء.

ليس لهذا الكتاب وحدة موضوعية فيما يظهر لمؤلفه وقارئه، وهذا هو أكبر تحدٍ واجهته أثناء التأليف. بم أعرف كتابي للناس؟ إنه مجموع كلمات نثرها البراء في ساحات الشبكة العنكبوتية، ولذلك اخترت اسمًا باهتًا له وهو (خمسون كلمة). حسنًا وما خيطها الناظم؟ لا أدري، فليس للترتيب أي دلالة تلهم القارئ. ولكنني ظننت أن ما كتبته هو شيء من العلم النافع الذي أسأل الله أن يجعل في نشره بين الناس مثوبة وأجرًا عظيمًا.

وبالنظر إلى النسخة الأولى من هذا الكتاب، فقد تسرعت في تهيئتها ونشرها، وكان لهذا التسرع أثر ظاهر في رداءة صورة الكتاب، وافتقاره للجاذبية، بل وفي محتواه الذي افترضت أنه كامل تام. وقد فوجئت -بعد مرور عام على نشر الكتاب- باكتشاف أنني نشرت سبعًا وأربعين كلمة عوضًا عن الخمسين التي عنونت بها كتابي!

ومع ذلك كله، فلم يكن هذا القرار المتسرع خاليًا من وجوه الخير وآثاره، فقد تحررت من عبء حبس الكتاب بلا عزم جاد وسعي حثيث على ضبطه ونشره. لقد تحررت من عقدة تأجيل المشروعات الضخمة وترحيلها إلى زمان يقصر العمر عن بلوغه.

لم يكن ما كتبته إبداعًا تعجز العقول البشرية عن إدراكه، ولم يكن -رغم ذلك- رديئًا من الكلام، وساقطًا من القول. وأنا زعيم بأنه يتوسط هذين الحدين، وأرجو أنه مقبول بما يكفي ليكون مسطورًا مبثوثًا للأنام.

وقد أجريت عددًا من الإصلاحات الجوهرية التي مست عنوان الكتاب وصورته وأحرفه، وهي جديرة بالذكر هنا. فقد غيرت العنوان القديم (**خمسون كلمة**) إلى عنوان حديث استقيته من إحدى كلمات الكتاب (**انتظار لن ينتهي**)، وأضفت أربع كلمات إلى ما سبق من كلمات، كما أنني أجريت قلم التغيير والتبديل على جميع كلمات الكتاب. واستعضت بمستجاد ما كتبته حديثًا عن القديم عديم الجدوى الذي ضمنته في النسخة السابقة. وقد أخذت على نفسي عهدًا ألا أخط كلمة ليس فيها مزيد فائدة للقارئ.

وأبقيت تواريخ الكتابات الأصلية رغم أنني أحدثت فيها الكثير. وذلك لوقع هذه التواريخ في نفسي، إذ أنها تشير إلى الشرنقة التي خرجت منها ونموت بحمد الله.

أرجو أن تكون هذه النسخة ناسخة لما سبق، متجاوزة كل خلل صوري ومعنوي. أرجو أن يلحظ قارئ النسخة القديمة فارقًا مؤثرًا بين النسختين، وأن لا تصده رداءة النسخة القديمة عن رؤية حسن النسخة الحديثة.

لست أدعي الكمال الذي أرجو بلوغ بعض مراتبه، ولذلك أرفقت بريدي الإلكتروني الشخصي بمقدمة الكتاب وخاتمته، لأحفز كل ناقد ومستدرك على استخراج ما يستدعي التصحيح والتعقب.

أسأل الله أن يتقبل ما كتبته، ويطرح فيه البركة والأثر الحسن.

البراء بن محمد (أبو مالك)

albara1500@hotmail.com

ماليزيا

ليلة الثلاثاء 1440/2/7هـ - 2018/10/16م

# المقدمة الأصلية للنسخة الأولى

الحمد لله رب العالمين، ولي المؤمنين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والتسليم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهذه بعض الكلمات التي كتبتها خلال عامين وزيادة، ونشرتها في مواقع التواصل الاجتماعي، وقد لقيت -بفضل الله- قبولًا عامًا، واستطعت من خلالها أن أطور أسلوبي الكتابي مع الممارسة المتواصلة.

إن أفكار المرء التي يبقيها في ذهنه ووجدانه، دون أن يخرجها ويدونها؛ تموت وتذبل في مكانها. ولن تشق طريقها نحو الضوء والنمو، إلا مع النقد والكتابة أو الحوار والخطابة.

وقد رأيت أثر ذلك في علمي، وفكري، وكتابتي بحمد الله.

وما ذلك إلا فضل الله أولاً وأخيرًا ثم ما ترتب عليه من فضل عائلتي وأصدقائي وزملائي الذين شجعوني وانتقدوني.

وقد أحببت أن أجمع ما تفرق من هذه الكلمات، ثم أعيد صياغتها من جديد، بما يتوافق مع طريقة تأليف الكتاب، متجنبًا الأخطاء الإملائية والنحوية التي تكون عند الكتابة العفوية في مواقع التواصل، أو ركاكة الأسلوب التي تظهر عند مبتدئي التدوين والتأليف.

أسأل الله أن ينفع بهذه الكلمات قارئها وكاتبها، وأن لا يغلق القارئ هذا الكتاب إلا وقد استمتع بمحتواه، وتأثر بمعناه.

والحمد لله أولاً وآخرًا

البراء بن محمد albara1500@hotmail.com

الرياض

الاثنين 1436/4/20هـ - 2015/2/9م

## ما بعد المقدمة الأصلية للنسخة الأولى

لا أكاد أجد دافعًا قويًا لبعث الروح في كتابات أماتها النسيان والإهمال، وتجاوزها الزمان، وغدا ما فيها من الأفكار والرؤى باليًا لا يعبر عن آخر مستجدات صاحبها وهو في مسيرة النضج والتقدم. إن البراء بن محمد الذي سطر هذه الكلمات وانتشى بها قبل عامين أو أكثر ليس هو نفس البراء الذي ينشرها الآن لسداد دين قديم وقطع النظر إلى ماضٍ تأجلت منجزاته إلى أن فقدت لذتها الحقيقية.

ومع ذلك كله فلست خَجلًا منكسرًا من نشر هذه الكتابات -ولو على نطاق محدود- حتى وإن بدت لي كخربشات الأطفال على الجدران. إنها جزء من تكويني وتطوري. وهي لبنةٌ من البناء الذي ابتدأته منذ كنت صغيرًا.

لقد قُدر لي أن أخرج هذا الكتاب في حلة بهية تسر الناظرين، وقد كان بإمكاني أن أخدم محتواه بأكثر من ذلك. ولكنني أخرت ذلك لأسباب معقولة وغير معقولة. وكنت في كل مرة أعاكس سير الزمان والأعباء والواجبات لأنتشل هذه المسودة من الطريق الذي سقطت فيه.

بقيت هذه المسودة عامًا كاملًا في أدراج وزارة الإعلام شاهدة على حبلٍ ارتخى من صاحب الحاجة والمسؤول.

لذلك من الخير أن أرضى بواقعي، وأتقبل الحقيقة التي لا مناص منها. إن مصير هذا الكتاب هو الخروج إلى دائرة الضوء بأي شكل مقبول، وانزياح عبئه من الذاكرة والوجدان.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله على كل حال.

البراء بن محمد

ماليزيا

صباح الاثنين 1439/1/25هـ - 2017/10/16م

## [1]

# ماذا سأكون بعد (...)؟

لو حاولنا اختزال معنى الحياة، ومصيرها، ومسارها في بضعة أسئلة كلية تتناولنا جميعًا؛ لما كان ذلك بعيدًا عن الإمكان والتحقق. فإن الناس ما فتئوا يشتركون في تداول هذه السؤالات بينهم برغم تفاوت عقولهم وأحوالهم وظروفهم المعيشية، وتصاريف.

ماذا سأكون؟ هو سؤال وجودي يتصدر قائمة الأسئلة التي أشغلت ذهن كل إنسان. فالإجابة عنه تحل الكثير من الإشكاليات التي نواجهها، وتذلل العقبات التي تعترضنا في طريقنا نحو تحقيق الغايات.

لا يلزم أن نستحضر هذا السؤال بلفظه في أذهاننا. إذ يكفي أن نتصوره تامًا من جميع جوانبه لنحقق المقصود منه.

الجدير بالذكر أن هذا السؤال معينٌ على معرفة مقدار وحجم التغير الذي عايشناه في فترة زمنية معينة. ولقياس التغيير وآثاره، فإننا نجيب عن سؤالين جوهريين (أين كنا؟) و(أين صرنا؟). فغرض السؤال الأول (أين كنا؟) هو معرفة مكاننا في الماضي. وغرض الثاني (أين صرنا؟) هو الكشف عن موطئ أقدامنا في الحاضر. وسنعرف حينها ما إذا تقدمنا حقًا نحو ما نصبو إليه أم رجعنا القهقرى نحو ما كنا نبغض المكوث فيه؟

إن الإدراك المبكر للتغير يساعد على تلافي آثاره المدمرة إن كان سلبيًا، أو تنمية ثمراته إن كان إيجابيًا.

إن لسؤال (ماذا سأكون) ارتباطًا وثيقًا بإدراك مقدار وحجم التغيير، وسأذكره قريبًا.

ليس هذا وحسب، بل إن سؤال (ماذا سأكون؟) يعين على التخطيط الجيد والتنفيذ القوي.

**حقيقة**: يفشل كثيرٌ من الناس بسبب مغالاتهم في العفوية أو هوسهم بالتخطيط.

وللغلو في العفوية حدان متضادان مدمران.

الحد الأول: التراخي والمرونة الزائدة، بحيث يمشي صاحبها في مساره، دون اعتبار أو تخطيط للخطوة القادمة. إن الحياة في نظره الساذج كطعام مطبوخ على نار هادئة لا تستدعي إشرافًا ولانظرًا.

ومشكلة هذا الحد أن صاحبه يعتاد الرتابة في الأعمال، فلا يستطيع أن يتعاطى مع المتغيرات المفاجئة التي تعكر عليه سيره. لذلك يتقبل أي حل آمن لا يستدعي التضحية بشهواته التافهة حتى وإن كان هذا الحل مهينًا له، مؤديًا لعواقب وخيمة.

الحد الثاني: الاندفاعية والتهور، ويختلف صاحبه عن الحد الأول بحماسه الشديد الذي سرعان ما ينقلب إلى تهور واندفاع غير محسوب. وذلك لأنه لم يكلل بتخطيط محكم، وتنفيذ دقيق.

سيظل صاحب هذا الحد متلقيًا أعنف الصدمات العنيفة التي تجلب عليه حسرات وإحباطات تقتل الهمة، وتدفن الروح في غياهب اليأس.

أما هوس التخطيط فهو مشكلة تواجهنا عندما نستنفذ كل حماسنا أثناء التخطيط، فنفقده أثناء التنفيذ. إن الحماس وقودنا الذي يدفعنا خلال عمليتي التخطيط والتنفيذ. فإن أحرقناه في إحديهما دون الأخرى، فإن العاقبة هي الفشل المحقق الذريع.

مشكلة مهووسي التخطيط أنهم يعتقدون أن شخابيطهم المتكررة على جداولهم وأوراقهم هي المحاولات التي تشفع لهم حال إخفاقهم (المؤكد). إنها دليل على حصول التخطيط قطعًا، ولكنها دليل على العجز والخذلان والخيبة.

مهووسو التخطيط هم كمن يسير في آلة المشي الرياضية ويتصور واهمًا أنه قد انتقل من مكانه إلى مكان آخر. ولو أن واحدًا من المغرقين في التخطيط سلك الخطوة الأولى، لوفر على نفسه عناء وضع الخطط التي تعيقه عن تنفيذها.

هناك فرق ظاهر بين المحاولة وبين إرادة المحاولة. فإن كل محاولة تتضمن في أحشائها خبرة لمن يمارسها، في حين أن تكرار إرادة المحاولة يؤدي إلى عجز صاحبها وموت همته.

سؤال (ماذا سأكون؟) يساعد على المحاسبة المستمرة، والنقد البناء. لأن من يطرح هذا السؤال يبتدئ بمعرفة واقعه، ونقده جيدًا، وتلمس مواضع الخلل فيه، ثم يستقي من كل ذلك غاية يحققها وإن طال السبيل والزمان. وهذا يعني أن مسائلة النفس على الدوام عن غايتها يجنبها العشوائية وهوس التخطيط.

إننا نغفل أحيانًا عن التخطيط للمستقبل، بسبب إغراقنا في عمل اليوم. والحق أن الانشغال التام بعمل اليوم، وإهمال التخطيط للمستقبل، يؤخرنا كثيرًا عن إدراك ما نصبو إليه، ويشتت جهودنا وحياتنا.

تفوتنا أكثر فرص التطوير والتحسين بسبب غموض غاية ما نعمله أو بسبب ضيق أفقنا عن إدراك رحابة الحياة.

"ولم أر في عيوب الناس نقصًا *** كنقص القادرين على التمام"

الخلاصة: سؤال (ماذا سأكون؟) من الأسئلة الهامة جدًا والتي يجب أن نعد إجابة شافية لها.

## [2]

## أهمية وجود المقصد في الحياة

(مشروع العمر) عنوان جذاب لكتاب هام ألفه مشعل الفلاحي. وقد تحدث فيه عن التخطيط، وأهمية وجود المشروع في حياة الإنسان وما لذلك من أثر عظيم في النجاح والتفوق.

قرأت الكتاب قبل عامين أو أكثر، وقد أعجبني وراقني، وما زالت فكرته الأساسية راسخةً في عمق ذهني، رغم ضياع الكثير من التفاصيل. ومع ذلك كله، فقد كنت أجد كلامه معتادًا مكررًا لا أثر له. ولكنني مع تقدم الأيام، ومشاهدة الكثير من التجارب، وزيادة المعارف، أدركت قيمة الكتاب بعمق وهي ضرورة العمل على مشروع يستغرق تفاصيل الحياة، ويوجه صاحبه نحو غاية عليا.

أدركت حينئذٍ أن وجود المشروع واجبٌ في ظل اضمحلال كثيرٍ من مواهب الناس التي اختصهم الله بها، لأنهم أكسل من أن يستغلوها، ولأنهم فوضويون في إعمالها. لقد تيقنت من أن وجود المشروع شرط ضروري للنجاح، وهو ضمان لإحداث الأثر، وتخليده.

"إنما يبقي الحياة المقصد *** جرسٌ في ركبها ما تقصدُ"

والحقيقة أنني ما انضممت لشبكات التواصل الاجتماعي إلا للإفادة والاستفادة في المقام الأول، لا لمجرد قتل الوقت بفائض من العلاقات الاجتماعية والأحاديث الجانبية.

وقد وجدت -بحمد الله- قدرًا كبيرًا من الاستفادة والإفادة، فقد جودت من أسلوب كتابتي، ووسعت شريحة المتلقين لما أنشره، وتعلمت مهاراتٍ ومعارف أخرى.

جديرٌ بالذكر أنه لا ثمرة لشبكات التواصل الاجتماعي هذه، ما لم تكن نواةً لمشروع جاد وقوي. لأنها لن تحيا طويلًا؛ فقد يخبو ضوءها في عام أو عامين، ثم تنزاح من حيز الذاكرة إلى طي النسيان.

وعودًا للحديث عن مشروعات الحياة، فلن تكفي جلسات المراجعة والمحاسبة وحدها لتقويم المسار، بل يجب أن تكون الغاية واضحةً محددة يمكن الوصول إليها.

ذلك وأن تحديد الغاية والعمل على تحقيقها يساعدان على تصحيح الأخطاء، ومراجعة التقدم وخط المسير، وتكثير سبل الوصول إليها، وتحقيق العديد من الغايات الفرعية، وقياس مدى التغير بين الماضي والحاضر.

كل واحد منا يمتلك مفاتيح لتغيير نفسه وإصلاحها. ليس ذلك فحسب، بل إن بوسعه -إن شاء- أن يمتلك مفاتيح التغيير للآخرين أيضًا. بيد أن الناس يختلفون في ذلك اختلافًا شديدًا وواسعًا باختلاف هممهم وقدراتهم. فمنهم من يحتاج إلى وقتٍ طويل للبحث عن المفاتيح، ومنهم من تنقصه الكثير من المفاتيح، ومنهم من يمتلك المفاتيح، ولكنه عاجز عن ترتيبها واستعمالها في الوقت والمكان المناسب.

من المهم أن يمتلك كل واحدٍ منا مشروعًا يعيش لأجله. من الضروري أن تكون له همة يرتفع بها عن الدون الذي لا يليق به. يجب أن نحيا كرامًا أعزاء بهممنا وغاياتنا الشريفة.

"قد هيئوك لأمرٍ لو فطنت له *** فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل"

## [3]

# لا تخجل مما تقدمه للناس

هل رأيتم بائعًا يعرض بضاعته بخجل واستحياء؟

وهل تظنون أن ذلك يقوده للكسب وجني الأموال الطائلة؟

بالطبع لا، فقدرٌ من المكاسب التجارية يعتمد على التسويق الناجح والاعتداد بالنفس.

ومما لا شك فيه أن الثقة بالنفس تنعكس على المستهلك، وتؤثر في قراراته حيال البضاعة التي يراها أمامها.

وعلى صعيد آخر، فأنت بائع يقدم نوعًا مختلفًا من البضائع للناس، لأنك صاحب إنتاج فكري (مقالات) أو صاحب إنتاج فني (رسومات-إلقاء-تصميم...إلخ) أو صاحب إنتاج أدبي (قصيدة-خاطرة).

لماذا تعرض بضاعتك بضعف وخور بالغين؟

لماذا تبالغ في بخسها وإنقاص قيمتها؟

هل تخشى من ظهور الخطأ؟

سيظهر الخطأ قطعًا. وما دمنا نتحدث عن المحاولات الأولى، فإن ظهوره نتيجة لا مناص منها. والحق أنك لن تتلافى هذا الخطأ بعبارتك هذه، ولن يكفي خجلك لمواراته تحت التراب.

هل تخشى من النقد؟

النقد هو سبيل التطوير والتحسين، ولولاه لما مشينا خطوة نحو الأمام ولما تطورنا. ليس من المستغرب أن يتعرض شخص ما لنقدك في محاولتك الأولى لكتابة قصيدة تعتقد جزالتها وبراعتها. سيخبرك بأن أبياتها غير موزونة. وسينتقد آخر خاطرتك الأدبية بسبب أخطائها النحوية. ويحتقر ثالثٌ ما بذلته من تصميم وتعديل للصور. ويزري آخرهم بمهارتك في التصوير وهكذا.

هل تخاف من التوتر الذي يلحقك عند سماع النقد؟ هل تخشى أن ترتبك فتسيئ التصرف؟

اعرض ما لديك، واقدره بقدره. فلا تعتقد أنك قد جئت بما لم تستطعه الأوائل، وما عجزت الأواخر عن مجاراته. واحتمل ما قد يرد عليك من نقد يمس خللًا تضمنه عملك، واطرح ما سوى ذلك من إساءة وتجريح لا علاقة لها بما عرضته.

فلا تقل -إذن- عبارات هدامة للثقة على نحو: (هذا مقالي رغم أنني أعلم أنه سيء)، فهي عبارة عديمة الجدوى والمعنى. وليس لها سياق مقبول إلا في المستقبل. لك أن تعرض مشاركاتك الأولى وقتها، بعد أن حنكتك التجارب، وصقلتك الأيام. وتعتبر بتلك المحاولات البدائية، وحث نفسك بها على مزيد من العمل والنجاح.

وتذكر قبل كل شيء أن التواضع الذي لا يواتي مكانه ووقته الملائم خطأ عظيم.

# [4]

## مجمع الآفات في عجز الثقات

"اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة"[1] عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

كم نرى في حياتنا صالحًا عاجزًا عن الإصلاح؟ وكم نرى فاجرًا مجتهدًا في الإفساد؟ مفارقة غريبة تتكرر شواهدها كثيرًا لتؤكد لنا أن صلاح المرء في نفسه لا يكفي ليرتقي بعزيمته وهمته فيصلح غيره. ولخطورة العجز الذي يقعد أهل الخير عن الخير، استعاذ منه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعله قرين جَلَد الفاجر وهمته على فعل الشر.

ولأن عجز الثقات شأن عظيم، فقد أفرد له محمد موسى الشريف كتيبًا صغيرًا يناقش فيه هذه الظاهرة، فيحلل أسبابها، ويستنبط حلولًا لها. وقد ارتأيت تلخيصه هنا، لألفت انتباه القارئ إليه، لعله ينتفع به.

أما غرض الكتاب، فهو كما قال مؤلفه: "وهذه الرسالة هي للمؤمنين الصادقين الذين عرفوا الطريق والتزموه، لكن لأسباب كثيرة ما تمسكوا به ولا لزموه" [ص8].

**الملخص:**

يتحدث المؤلف أولاً عن معنى العجز والثقة ثم يعرج استطراداً إلى معنى كلمتي العمل والعجز في المصطلحات الحديثة.

ويذكر بعد ذلك أهمية العمل وترك العجز والجونب التي تمنح العمل قيمته. وهي:

1- قصر الزمان المتاح للعمل الصالح.

2- عظم تفاوت الدرجات في الجنة.

3- ترك العمل يؤدي إلى الانسلاخ من الثبات.

---

[1] (مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المجلد الثامن والعشرون، ص254).

بعد ذلك يتحدث المؤلف عن مظاهر العجز المنتشرة بين الثقات فيقول: "إن مظاهر العجز تختلف في طبيعتها وحدتها من عاجز لآخر، وسأورد عددًا منها ليتضح المراد:

1- ترك الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- الضن بالأموال أو تشوش الإنفاق.

3- المواهب غير المستغلة.

4- تشوش الأولويات.

5- طعن الثقة في إخوانه الثقات.

6- ضعف الثقافة.

7- ضياع الأوقات.

8- تفاهة الأهداف.

9- خلف الوعد.

10- عدم ضبط الأهل.

ويورد المؤلف بعد ذلك أسباب العجز:

1- التواضع الكاذب.

2- التحسس ورهف المشاعر.

3- الكسل.

4- السآمة والملل.

5- الانقباض وضيق العطن.

6- اليأس.

7- الخوف.

8- الغموض.

9- التردد.

وينتقل بعدها للحديث عن علاج العجز بشقيه العام والمخصوص.

فأما العجز العام فمن علاجه:

1- قراءة كتب التراجم.

2- زيارة أهل الصلاح.

3- فهم مهمة الإنسان.

4- العزيمة والإصرار.

5- وضع هدف سامٍ.

والعجز المخصوص ينقسم لعجز إيماني وعلاجه الحفاظ على أداء الفرائض والتنفل بالصلاة والصيام والذكر، وعجز ثقافي يعالج بحفظ القرآن وعدد من الأحاديث والالتزام بالقراءة، مع الاستماع للمواد المفيدة. وعجز دعوي علاجه فهم وجوب الدعوة وأهميتها، ومعرفة تاريخ العاجزين، مع إحياء روح الجدية.

وعجز نفسي يعالج بالابتهال إلى الله ومساعدة بعض المختصين بعلم النفس.

**اقتباسات منتقاة:**

"والعامل هو الذي يملي على التاريخ ما يسطره، ويرغمه أن يفسح صفحاتٍ من أسفاره لكتابة سيرته وتسطير مآثره، أما العاجز من الثقات فإنه يعيش على هامش التاريخ لا يعرف كيف يقرأ أحداثه ويستفيد منها بله أن يؤثر فيها، يظل قابعًا في مكانه حتى يأتيه الموت لا يعرفه أحد ولا تبكي عليه السماوات والأرض" [ص23].

"وذلك لأن العاجز إن استمرأ عجزه وزُيِّن له حاله وما هو عليه من الراحة والدعة وترك المعالي والسعي إليها قد ينسى المعاني العلية وتمحى من ذاكرته بعد أن فقدتها أعضاؤه وجوارحه، وقد يرغب في حال الجاهلين الضالين، فيأنس لهم ويهش لهم، ويبادر إلى المكث معهم والتأسي بشمائلهم فينسلخ من الالتزام، ويفقد ثباته، ويأوي لكن إلى ركن غير شدسد، ويرتكز على باطل منهزم رعديد" [ص46].

"ثم إنه على مدار التاريخ تقدم أصحاب المواهب ولم يحجموا فسُطرت سيرهم بأحرف من نور، ومات الخاملون المحجمون فلم يدر بهم أحد، ولم ينالوا من الأجر -أجر الإقدام على معالي الأمور- ما ناله المتصدرون لنفع الناس" [ص67].

"إن عِظَم الأشخاص مرتبط بعِظَم أهدافهم، فمهما عظم الهدف فإنه دال على تفتح ذهن صاحبه وحبه لمعالي الأمور، وإذا نظرت إلى صاحب هدف متدنٍ تافه فاعلم بأنه قد ضل المنهج الصحيح، والتبست عليه الأمور، وغشيته غاشية من غواشي إبليس" [ص84].

"التواضع الكاذب وأعني به ذلك الانكسار الدائم في شخصية المرء، فتجده يعتذر دائمًا بأنه ضعيف لا يستطيع تحمل المسؤولية، أو هو أقل مما يُؤَمّل منه، أو أن الآخرين خُدِعوا به حيث ظنوا فيه خيرًا" [ص100-101].

## [5]

## اللحظة المناسبة بين الحقيقة والوهم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم وبعد.

نستخدم مصطلح (اللحظة المناسبة) للتعبير عن الزمن الذي تبتدئ فيه مشروعاتنا الكبرى التي تتطلب بذل قدرٍ عالٍ من الجهد والوقت والتضحيات. وهذه الدلالة تؤكدها كلمة (المناسبة) التي تصف لحظة البدء تلك، فمناسبة اللحظة للعمل تقتضي بأن ابتداءه قبلها أو بعدها يفضي لفساده بالضرورة، وذلك لعدم مناسبة ذلك الزمن لهذا العمل.

عندما نقول: (اللحظة المناسبة) فإننا لا نقصد رقمًا مجردًا يعبر عن وقت مخصوص كالعاشرة مساءً أو السادس من رجب، وإنما نقصد زمانًا تتهيأ فيه شروط حصول العمل وابتدائه وتنتفي وتختفي الموانع التي تعيق سيره وتجهضه قبل أن يبدأ. ومن هنا تحديدًا تنبع المشكلة التي سأشير إليها قريبًا في وسط المقال.

تؤكد تجاربنا وتجارب من نعرفهم أن كلمة (اللحظة المناسبة) أضحت مصداقًا قاطعًا لمفهوم التأجيل والمماطلة، فنحن نجد في أنفسنا تكاسلًا بيّنًا عن الأعمال التي نعلق ابتدائنا لها باللحظة المناسبة، وللأسف الشديد فإن دقة هذه الكلمة لا تعبر تمامًا عن دقتنا في تقييد أعمالنا بـ(الوقت المناسب).

صارت كلمة (اللحظة المناسبة) مطية لقاع الفشل والخسارة بدلًا من أن تكون سلمًا للنجاح والتفوق.

فما السبب الذي يحيل تعبيرًا دقيقًا كهذا إلى تعبير مطاطي شديد المرونة والانسيابية؟

أحد هذه الأسباب هو أن اللفظ في حقيقته لا يحمل تلك الدقة المتناهية التي نتوقعها، فدقته -في حقيقة الأمر- أدنى بكثير من دقة التعبير عن زمن معروف وواضح كدقائق الساعة وأيام الأسبوع وشهور السنة. وذلك لأن

تهيؤ الشروط وانتفاء الموانع يتعلق بزمان مبهمٍ غير معروف، والشروط والموانع لازمان من لوازم اللحظة المناسبة.

هذه الملاحظة الدقيقة لا تنفي أن بعض السياقات تمنح دقة كبيرة لمصطلح (اللحظة المناسبة). فالتسجيل في مدرسة أو جامعة -معروفٌ وقت بدء التسجيل فيها- يرتبط باللحظة المناسبة التي لا تنفك عن هذا الوقت المعروف. أعني وقت التسجيل. ولن نستطيع أن ننفي أن الزمان الذي يعقب فترة التسجيل أو يسبقها ليس (لحظة مناسبة) للتسجيل. ومن ثم فلو قال أحدهم أنه يتحين (اللحظة المناسبة) ليسجل في هذه المدرسة أو الجامعة فتعبيره دقيق بالغ الدقة.

لكن ماذا عن المشروعات الفردية التي لا ترتبط بلحظة مناسبة معينة؟

ماذا عن التوبة؟ المذاكرة؟ ممارسة الرياضة؟ الزواج؟ ... إلخ

تُسأل عن سبب تأخرك في واحد من هذه الأعمال فتجيب قائلًا: أنتظر اللحظة المناسبة.

يجب أن تنتظر اللحظة المناسبة ولكن متى تحين هذه اللحظة المناسبة؟

ستفكر قليلًا وتنظر كثيرًا وتقلب رأسك يمنة ويسرة، ولكن دعني -قبل أن تخبرني عن صعوبة تحديد هذه اللحظة- أذكرك أن اللحظة المناسبة هي اللحظة التي تتهيأ أو توجد فيها شروط العمل وتنتفي موانعه.

سأتفق معك في صعوبة تحديد لحظة تعلم فيها وجود الشروط وانتفاء الموانع، ولكن سأسألك سؤالًا واحدًا: هل تعلم ما هي هذه الشروط الضرورية لعملك والموانع التي تعيقه وتجهضه؟

سأضيف إليه سؤالًا لا يقل أهمية عنه: لم لا تبدأ الآن؟! لم لا يكون الآن هو اللحظة المناسبة؟

لحظة من فضلك! لقد خطر ببالي سؤال أراه أكثر أهمية مما سبق: إن لم يكن الحاضر لحظةً مناسبةً لعملك، فما الذي ستبذله لتقريب هذه اللحظة وجذبها لتحين (بعد قليل) لا (بعد كثير)؟

أوَ ليست مصلحتنا هي في أن تكون (اللحظة المناسبة) لمشروعاتنا العظمى أقرب إلينا من كل شيء؟

أليس من أعظم المفسدة أن يؤجل الواحد منا (لحظة مناسبة) لأنه لم يقدر قدرها جيدًا فتساهل بها وتجاهلها؟

وأسئلة أخرى لا تكاد تنحصر، ويجمعها هذا المصطلح [اللحظة المناسبة] الذي صار تعبيرًا مهذبًا معقلنًا عن الكسل والخمول.

اللهم اجعل أعمارنا كلها لحظات مناسبة للخير والنجاح والتقدم

والحمد لله رب العالمين

كتبه البراء بن محمد

منتظرًا في مطار أبو ظبي

1437/9/25هـ

2016/6/30م

## [6]

# فلننزع الحجاب!

لعل المتابع للأحداث العالمية وتقلباتها، لا يخفى عليه نفوذ الحملات الإعلامية في مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على أفكار الناس وعاداتهم. وفي هذا المقال المطول سنتحدث عن إحدى هذه الحملات الشهيرة التي انتشرت هذا العام. قبل أكثر من 7 أشهر أطلقت صحفية إيرانية تدعى (مسيح علي نجاد أو نزاد) حملةً في فيسبوك أسمتها (#Mystealthyfreedom) وترجمتها الحرفية هي (حريتي الخفية).

تهدف هذه الحملة إلى تغيير القوانين التي تفرض على النساء لبس الحجاب، عن طريق دعوة النساء إلى خلع الحجاب والتقاط الصور بدونه، ومشاركتها في هذه الصفحة أو تويتر، إلى أن يتغير الرأي العام.

وقد لاقت هذه الحملة منذ انطلاقها حتى الآن تفاعلاً كبيرًا من النساء اللواتي شاركن بمختلف الصور التي تحمل عبارات أخرى تدعو للحرية وحق اختيار اللباس. ولم تمضَ هذه الحملة بلا اعتراضات كبيرة من المسلمين في إيران، فقد قامت حملات أخرى مناهضة تحرِّض الحكومة على تفعيل قوانين الحجاب أو اللباس المحتشم وما يتعلق بها من عقوبات.

الجدير بالذكر أن عقوبة عدم ارتداء الحجاب وفقًا للمادة ال638 من نظام العقوبات الإيراني الصادر عام 1991م تقضي بسجن من لا ترتدي الحجاب في الأماكن العامة لمدة عشرة أيام حتى شهرين أو غرامة بقيمة 50 ألف إلى 500 ألف ريال إيراني.

والسؤال هنا: هل تستحق هذه الحملة كل هذا الصخب الإعلامي؟ يبدو أن لبعضهم إجابة أخرى، فقد قال أحدهم (في خانة التعليقات لإحدى الجرائد): "عالم مجانين. والشركات الإعلامية الأمريكية مثل فوكس تعرف تماما أن الأمر ليس مهما وأن الحكومة الإيرانية لا تعير الموضوع أي اهتمام. لكن كشف الصبية عن شعرها يبدو أنه أثار حنق البعض منا للأسف وكأن الدنيا انقلبت وصارت تمشي على رأسها. وكأنها مسألة وجود وأمن قومي. صلوا على النبي يا جماعة واهدؤوا قليلا. الموضوع ما بيستاهل. هناك

عشرات الملايين من النساء العربيات المسلمات اللواتي يكشفن عن شعرهن يوميا. إنه شيء عادي حتى في إيران....إلى آخر ما قاله"

إذن فالأمر -عند المعلق- هو مجرد تبرج نسوة، لا يستدعي كل هذا الإنكار.

وللتعقيب عليه نقول: تهدف الحملة كما سبق إلى إلغاء القانون التي تجعل من تحلل النساء من الزي الشرعي جريمة تستلزم العقاب. فالغرض إذن هو تمكين المرأة من لبس ما شاءت بلا حسيب ولا رقيب، لأن التدخل في ذلك هو من تقييد حريتها والعبث بها.

لكن غرض الحملة لا يتم بغير تحدٍ فج للإسلام وليس للسلطة الإيرانية وحسب، والقرائن التي تؤكد ذلك هي أن صور مرتبطة بعبارات تشير إلى التحرر من القيود، والتمتع بحرية لا مثيل لها، والسعادة الغامرة بذلك. وهو مؤشر قوي على كراهية هذه الشعيرة ومقتها، واعتبارها قيدًا ثقيلاً مرهقًا للمرأة.

وتتناول هذه الكراهية -ضرورة- مبدأ الاحتجاب عن الرجال الأجانب، وتغطية العورة، وإبطال مبدأ الحشمة والعفة. وإلا لما بالغت صاحبات الحملة في وصف التبرج بأنه تحرر من القيود. نعم سيظل الحجاب عندهم خيارًا للمرأة، ولكنه خيار مرذول للمرأة التي لا تريد أن تتحرر من القيود.

لا تنحصر المشكلة هنا في وجود المعصية نفسها، إذ أنها ظاهرة عامة تحصل كثيرًا، وذلك لتفاوت طبائع الناس وأخلاقهم، واشتداد وطأة الشبهات والشهوات عليهم. وإيمان المسلم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والدنيا دار ابتلاء ومكافحة ومجاهدة.

ومع ذلك كله، فإن في النفس ضميرًا حيًا يزجرها عن اقتراف الحرام ويؤنبها عند ارتكابه، وهذا الضمير متفاوتٌ في صحته بين الناس، فمنهم صحيحٌ حي ومريضٌ ميت!

تتجاوز أبعاد المشكلة وقوع الأفراد في المعصية إلى المجاهرة بها علنًا. إنها جريمة خطيرة تدل على انحدار إيمان صاحبها، وموت ضميره الحي، وجفاف وجهه من الحياء من الله والناس.

الحجاب شرع رباني لا شرع إنساني إيراني، فقد قال الله تعالى: ((**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورًا رحيمًا**)) [الأحزاب/59].

وقال سبحانه: ((**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها...الآية**)) [النور/31].

وإنكار شرع الله الثابت بكتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين، المعلوم بالضرورة من الإسلام كفرٌ بالله العظيم[1].

ومقتضى وجوب الحجاب أن التبرج محرمٌ منكر، وكل منكر يستلزم التغيير باليد واللسان والقلب.

لكن هذه الحملة الخبيثة تهدف إلى رفع وصف التجريم عن التبرج، لتجعله مباحًا لا يمكن إنكاره. وهذه أعظم مجاهرة بالمنكر، وهي من محادة شرع الله سبحانه وتعالى.

ورغم ذلك فقد استخف صاحب التعليق -ومن على شاكلته- بشيوع منكر التبرج، واستخف أيضًا بمن يجاهرن به، ويحرضن النساء على فعله تحت داعي الحرية. وهذا لوحده كافٍ لتجريم الحملة ووصفها بالخبث، إذ أنها نجحت في قتل غيرة المسلم على شرع بالله بحجة التحرر من القيود.

انظر كيف أدت هذه الحملة الخبيثة إلى إبطال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو خصيصة الأمة الإسلامية التي ميزها الله بها بين سائر الأمم ((**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**)) [آل عمران/110]، وهل أهلك الناس إلا سكوتهم عن إنكار المنكرات؟

الحجاب شعيرة إسلامية، وهوية مميزة للمسلمات عن غيرهن، وشعار للعفة والحياء. والتقليل من شأنه يؤدي تدريجيًا إلى التهاون بجميع العبادات والشعائر إلى أن يخلو الدين من جميع مظاهره وجواهره الداخلية فيزول ويتلاشى من وجدان الناس وعقولهم.

---

[1] "والإنسان متى حلل الحرام -المجمع عليه- أو حرم الحلال -المجمع عليه- أو بدل الشرع -المجمع عليه- كان كافراً مرتداً باتفاق الفقهاء"

(مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم ومحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط 1425هـ-2004م، المجلد الثالث، ص267-268).

لا فرق بين من يستخف بالحجاب لمجرد أنه قطعة قماش ومن يستخف بالصلاة لمجرد أنها حركات رياضية. فقد اشتركا في التهوين من الشرع.

فرق ظاهرٌ بين امرأة متبرجة تقر بخطئها وتتمنى الاتصاف بالعفة، وبين أخرى تحارب الحجاب وتحرض على خلعه، وتتباهى بذلك بتصوير مفاتنها لإظهار التحدي والمكابرة واستفزاز المسلمين والمسلمات على حد سواء. فقد يغفر الله للأولى وقد يوفقها للتوبة قريبًا، بخلاف الثانية التي قد يطبع الله على قلبها فلا تقر حقًا ولا تنكر باطلًا وتصير من جملة الشياطين المضلين الذين يجب مجاهدتهم والاستعاذة بالله من شرورهم.

إن هؤلاء من أشد الناس خطرًا على دين المجتمع، فحقهم العقاب الشديد لمجاهرتهم بالمعاصي، وحض الناس عليها، بل الاستخفاف بها.

ولعلنا هنا نتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**)) [رواه البخاري].

على الهامش:

نظام العقوبات الإيراني (بالانجليزي):

http://mehr.org/Islamic_Penal_Code_of_Iran.pdf

الحملة (ويكيبيديا) (انجليزي):

http://en.wikipedia.org/wiki/My_Stealthy_Freedom

جريدة القدس:

http://www.alquds.co.uk/?p=215817

الخبر من بي بي سي العربية:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2014/05/140513_women_iran_taking_off_hijab

## [7]

# كف السيدات عن الاعتراض على تعدد الزوجات

تحكمنا نظرة المجتمع المتغيرة أحيانًا، وتنفرنا عن ممارسة كثيرٍ من المباحات -التي أقرها الله- بسبب عادات وتقاليد بالية أو ثقافة مستوردة أو سلطة إعلامية قوية. ومن بين هذه المباحات: تعدد الزوجات (Polygamy). والحقيقة أنه لم يدفعني لكتابة هذا الموضوع ترفٌ فكري أو فراغ في الوقت، ولكنني وجدت منشورًا في فيسبوك لأحدهم، وقد تحدث عن تعدد الأزواج، وتحديدًا ما يسميه (احتكار الزوج)[1].

والمهم أنني سأذكر بعض النقاط التي تهمني، والتي استفدتها من المقال، وأربطها ببعض معارفي السابقة.

يجب أن نقرر ابتداءً أن الإسلام هو الاستسلام والخضوع لله، والإيمان به وبصفاته العلية ومنها العلم والحكمة. ويجب قطعًا أن نؤمن بأن الله سبحانه وتعالى لا يبيح إلا طيبًا ولا يحرِّم إلا خبيثًا لقوله تعالى: ((**يسألونك ماذا أُحل لهم قل أحل لكم الطيبات**)) [المائدة/4] وقوله تعالى: ((**الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث...الآية**)) [الأعراف/157].

من هذه البداية التي نسلّم بها جميعًا، نقول أن تعدد الزوجات مباح مباح مباح بدلالة قول الله تعالى: ((**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا**)) [النساء/3]. وأما شرط العدل فسأؤخر الحديث عنه قليلاً.

السؤال هنا: لماذا صار (تعدد الزوجات) أمرًا ممقوتًا في زماننا؟ بل إنه صار معرةً وخطيئةً فكرية وخلقية لمن أيده أو حث عليه أو صرح برغبته فيه؟

---

[1] https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=582044818567347&id=112617202176780&fref=nf&pnref=story

لماذا صارت مجتمعاتنا تنظر للتعدد على أنه قرين الخيانة الزوجية؟

بل لماذا صار التعدد (أصلًا) شبهة من شبهات أعداء الإسلام [السخيفة] التي يثيرونها ليصدّوا الناس عن دينهم لولا تصورنا المغلوط لهذا المباح؟

هل لأن (تعدد الزوجات) قد صار محظورًا عالميًا؟

لن نجيب عن هذه الأسئلة هنا، وإنما نكتفي بإثارتها هكذا حتى يفكر فيها ذهن القارئ جيدًا.

معالم سوء فهم (تعدد الزوجات) وطبيعته واضحةٌ جدًا في مجتمعاتنا الإسلامية، أيًّا كانت الأسباب والمبررات، لن نستطيع نفي ذلك أو التقليل من شأنه. نحن نسمع كثيرًا عن المقالب التي تعدّها الزوجات لأزواجهن المعدّدين، وما يحدث من خصومات شديدة فاتكة بين النساء (بما قد يتعدى حد الغيرة الطبيعي للمرأة)، وكذلك النكات الكثيرة التي يطلقونها على التعدد والمعددين. وأبشع من ذلك كلِّه، السفرات الخارجية للأزواج وما ينتج عنها من علاقة محرمة مع نساء الخارج أو زواج مسيار في أقل الأحوال. إن أبرز التصورات المغلوطة الشائعة عن التعدد هي أن فاعليه شهوانيون خائنون لزوجاتهم.

كل ذلك وغيره جعلني أقطع بأن هوسًا باستنكار التعدد قد بدأ ينتشر في مجتمعاتنا المسلمة. والأسوأ من ذلك أنني وجدت مطويةً قد كُتبت في أحد المساجد بماليزيا ضمن الكثير من المطويات لدعوة غير المسلمين، فكان عنوانها البارز (Marry only one) أي: تزوج امرأة واحدةً فقط.

يجب أن نكسر أي قيدٍ مجتمعيٍ وهمي، لا ينبني على شرعٍ صريح أو عقلٍ صحيح، حتى لا يعيقنا ذلك عن التقدم والتطور، وحتى نتحرر فكريًا وثقافيًا من أي خرافات سائدة. ولكسر هذه القيود، فإنه يجب علينا أن نفهم طريقة صنعها جيدًا، وأن نفهم كيف يفكر من صنع هذه القيود حتى نكسرها ونتخلص منها للأبد. لذا وجبت دراسة الأفكار السائدة عن التعدد وتفنيدها واحدةً واحدة.

ولا ننكر هنا وجود بعض الممارسات الخاطئة لمبدأ التعدد، ولكن هذا لا يعني إلغاء المبدأ من أساسه، أو المبالغة في التضييق على من يريد ممارسته والتشديد بما لم يشرعه الله تعالى!

1- التعدد خيانةٌ للزوجة:

وهي أكثر مغالطة تشيع بين الناس للحط من التعدد، ولعلها نشأت بسبب بعض الممارسات الخاطئة.

ليس في التعدد أي خيانة للزوجة، ومن يقول ذلك فقد غالط وخالف المنقول والمعقول معًا.

وقد قدمنا من المنقول ما يقتضي إباحة التعدد، ولم يبح الله خبيثًا قط.

أما المعقول، فليس في زواج المرء من امرأة أخرى غير زوجته أي خيانةٍ لها، لأن عقدة النكاح بيده، فهو من يدفع المهر ليستمتع استمتاعًا مباحًا بامرأة ما. وليس في نكاحه من زوجته الأولى ما يقتضي منعه من نكاح امرأة أخرى بعقد شرعي. ليس في ذلك أي خيانة أو نقض لعرى المودة.

الخيانةُ حقًا أن يبحث الرجل عن امرأةٍ أخرى (عاهرة) لينام معها ليلةً أو ليلتين مقابل بعض المال، في معزلٍ عن امرأته، يمارس الجنس الذي لا يباح له إلا مع امرأته، أو يقيم علاقة هي إلى الزواج أقرب مع من يسميهن صديقات وخليلات وعشيقات. في حين أنه لو تزوج قانونيًا وعلى سنن الشرع الحكيم، فإن القانون سيلاحقه، وقبل ذلك كلِّه تتسلط عليه زوجته وتحاربه، مع تلاشي ذلك أو خفته في الحالات السابقة. فتأمل!

2- التعدد للشهوانيين:

تروج هذه الشبهة كثيرًا، وزبدتها أنه لا يعدد إلا رجلٌ شهواني قد حصر عقله وقلبه بين فخذيه. إذ أنه لا يرى في الزواج إلا جماعًا!

ولو تأملنا هذه الشبهة جيدًا لاستطعنا قلبها بسهولة على أصحابها.

إن حكم التعدد ومنافعه -التي تغاير محض الشهوة- متعددة لا حصر لها، فمنها: تقليل العنوسة في أوساط النساء - توفير فرصة الزواج للمطلقات والأرامل - تكثير نسل الأمة الإسلامية...إلخ.

ثم حتى وإن تزوّج رجلٌ ما لشدة ما يجده من شهوة الجنس وداعيه، ولم تكن زوجته كافية لدرء ذلك، فما الذي يعيبه؟

وما الذي يعيب رجلًا أحب امرأة سوى زوجته واستطاع أن يتمتع بها بعقد شرعي؟

لا عيب مطلقًا. ولكنها وساوس باطلة تثور في الأذهان. والحق أن تعدد الزوجات أفضل بكثير من مواقعة فاحشة الزنا. بل لا مقارنة بينهما أصلاً.

ولو تأمّلنا في حكم التعدد ومنافعه، لوجدناها عظيمة كثيرة، لا كما يزعم بعضهم. بل نقول أن من زعم أن "التعدد للشهوانيين وحسب"؛ شهواني كذلك لأنه حصر منافع التعدد في محض قضاء الشهوة، ثم اتهم المعددين بالشهوانية. رغم أن الشهوة ليست مذمومة لذاتها.

3- لماذا يعدد الرجال ولا تعدد النساء؟

إنها شبهة واهية تعلق بها ضعاف الفكر لتشبيه التعدد بالرذيلة. وهي نتيجة أغلوطة المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، وهي مستحيلةٌ قطعًا لوجهين.

أولًا: الرجل هو من يملك زمام الأسرة، وهو من يستطيع قيادتها والتحكم بشؤونها، وهو المكلف بلقمة العيش، وليست المرأة كذلك.

ثانيًا: زواج الرجل من أربعة نسوة أو أقل له منافع معلومة، أما زواج المرأة من رجال متعددين فهو إلى العهر أقرب، فضلًا عن انتفاء منافعه، وحرمته. فكيف إن عددت المرأة؟ ستختلط نطف الرجال في رحمها، وتضيع حقوق الأولاد بذلك. إنه كنكاحٍ مشهور من أنكحة الجاهلية التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها فيما رواه البخاري عنها في صحيحه.

هل تستطيع امرأةٌ أصلاً أن تتحمل مسؤولية رجل أو تعول اثنين أو ثلاثة من الرجال؟ هذا حمقٌ لا يقوله عاقل ولو على سبيل المجادلة أو المغالطة.

ولو طالب عاقل بتعدد الأزواج لكان حقًا أن يضم إلى المجانين وفاقدي الأهلية.

4- تعذر العدل بين النساء:

بسبب سوء الفهم لآيات الله وكتابه، نشأت الصورة المشوهة القبيحة عن تعدد الزوجات، بل تجاوز الأمر ذلك إلى التضييق عليه واعتباره كأكل الجيفة!

يقول الله تعالى: ((**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا**)) [النساء/3].

ويقول تعالى في موضع آخر: ((**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا*ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورًا رحيمًا**)) [النساء/128-129].

والمعترضون على التعدد يزعمون -بفهمهم لهذه الآية السابقة- أن العدل عسير جدًا بل مستحيل. ولنفهم دلالات هذه الآية ومعانيها بدقة، فإنه يجب علينا الرجوع لأقوال المفسرين وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقسِمُ فيعدِلُ ويقولُ اللَّهمَّ هذا قسمي فيما أملِكُ فلا تلُمْني فيما تملِكُ ولا أملِكُ يعني القلبَ**)) [رواه الترمذي].

ولنعد إلى تفاسير العلماء للآية ال129 من سورة النساء.

قال البغوي: "قوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) أي : لن تقدروا أن تسووا بين النساء في الحب وميل القلب، (ولو حرصتم) على

العدل، (فلا تميلوا)، أي : إلى التي تحبونها، (كل الميل) في القسم والنفقة، أي : لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم، (فتذروها كالمعلقة) أي فتدعوا الأخرى كالمنوطة لا أيما ولا ذات بعل. وقال قتادة : كالمحبوسة، وفي قراءة أبي بن كعب : كأنها مسجونة"[1]

قال ابن كثير: "وقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) أي : لن تستطيعوا أيها الناس أن تساووا بين النساء من جميع الوجوه، فإنه وإن حصل القسم الصوري ليلة وليلة، فلا بد من التفاوت في المحبة والشهوة والجماع، كما قاله ابن عباس، وعبيدة السلماني، ومجاهد، والحسن البصري، والضحاك بن مزاحم"[2]

وقال بعد ذلك بقليل: "وقوله (فلا تميلوا كل الميل) أي: فإذا ملتم إلى واحدة منهم فلا تبالغوا في الميل بالكلية (فتذروها كالمعلقة) أي: فتبقى هذه الأخرى معلقة"

قال الطبري: "وإنما أمر الله جل ثناؤه بقوله : (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة). الرجال بالعدل بين أزواجهن فيما استطاعوا فيه العدل بينهن من القسمة بينهن، والنفقة، وترك الجور في ذلك بإرسال إحداهن على الأخرى فيما فرض عليهم العدل بينهن فيه، إذ كان قد صفح لهم عما لا يطيقون العدل فيه بينهن مما في القلوب من المحبة والهوى."[3]

ونكتفي بهذه الأقوال، لنعرف كيف كان أئمة الإسلام وعلمائه يتعاملون مع التعدد، ونتأمل أحوالهم، ونقارنها بالتشنج الشديد الذي يجتاح معارضي التعدد عند تعاملهم مع من يقبله ويدعو إليه -لا لوجود من يمارسه ظلمًا- ، وخصوصًا حزب (Marry only one).

إذن فالعدل بين النساء في النفقة وباقي الحقوق ممكن وليس بمستحيل، بل ممكنٌ جدًا، وقد عدل النبي صلى الله عليه وسلم بين زوجاته، وتابعه

[1] (معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط1 1409هـ-1989م، المجلد الثاني، ص295).

[2] (تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، ط2 1420هـ-1999م، الجزء الثاني، ص430).

[3] (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، ط1 1424هـ-2003م، الجزء السابع، ص576).

الصالحون من بعده. بل نزيد على ذلك بأن نقول: ليس في مجرد الاكتفاء بامرأة واحدة أي فضل أو تميز على التعدد. بل قد يكون التعدد دليلًا على كمال الرجل بقوة شهوته، وقدرته على ضبط النساء، وعدله بينهن.

5- ليس في التعدد مراعاة لمشاعر المرأة.

الحقيقة أن التعدد -وهو اقتران الزوج بزوجة أخرى تنافس زوجته الأولى- أمر شديد وشاق على أي زوجة، وهو يهيج الغيرة في نفسها. وإذا كان نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاتنا جميعًا قد حدثت بينهن غيرة طبيعية لأنهن ضرات، فكيف بنسوة اليوم؟

لا شك أن في الأمر مشقة شديدة على النفس. وقد لا ندركها نحن معشر الرجال، بحكم أننا لم نمتحن بها. وليس المجرب كالسامع.

ولكن يجب علينا أن نعلم أنه ليس في التعدد أي نقيصة سواءً للرجل أو للمرأة، وأنه ليس من شروط حصوله الضرورية تقصير المرأة مع زوجها حتى يتزوج عليها.

ونحن -في المقابل- نشجب ما يقوم به بعض الرجال من استفزاز للمرأة والضغط عليها بورقة التعدّد، وكل ذلك ليلوي ذراعها بهذه الطريقة. لكنه في الحقيقة يسقط بذلك من ناظريها ويسيئ إلى نفسه قبل أن يسيئ إليها.

في المقابل الآخر، يجب أن تكون المرأة واعية ولا تتعامل مع الأمر وكأنه خيانة زوجية أو خطيئة أخلاقية، إن هذا الأمر مما أباحه الله للرجال من غير ذكر علةٍ له. والتسليم لله واجبٌ بكل الأحوال.

يجب أن تعلم المرأة أن امتعاضها من تعديد زوجها للنساء أمر يختلف تمامًا عن الاعتراض على التعدد أو تقييده أو تحريمه فالأول قد لا تؤاخذ عليه، بينما قد تكفر بسبب الثاني!

ووجود الظلم في المعددين لا يعني أن التعدد نفسه ظلم.

الأهم من ذلك ألا نقيِّد ما أباحه الله، فتنمو العقد النفسية بسبب ذلك، وتنتشر الرذيلة بسبب قيود مجتمعية وهمية ما أنزل الله بها من سلطان.

هذه القيود المجتمعية هي التي تمنع الرجال من التعدد، وتمنع الشباب من الزواج المبكر بحجة صغر السن، وتمنع المرأة من الزواج بحجج أخرى واهية. أرجو أن نساهم في نهضة فكرية حقيقية نزيل بها الخرافات والأوهام التي استقرت في الأذهان، والتي يردّدها الجهال والحمقى عبر منابر الإعلام، لما في ذلك من خطورة شديدة على ديننا وأخلاقنا وفكرنا.

وأختم بتعليق نفيس للإمام القرطبي رحمه الله في تفسير آية :((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرًا)) [النساء/128]. يقول رحمه الله: "في هذه الآية من الفقه الرد على الرعن الجهال الذين يرون أن الرجل إذا أخذ شباب المرأة وأسنت؛ لا ينبغي أن يتبدل بها. قال ابن أبي مليكة: إن سودة بنت زمعة لما أسنت أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلقها، فآثرت الكون معه، فقالت له: أمسكني واجعل يومي لعائشة؛ ففعل صلى الله عليه وسلم، وماتت وهي من أزواجه."[1]

[1] (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1 1427هـ-2006م، الجزء السابع، ص162).

## [8]

# المزاح بين الناس

يقال أن أطيب الناس قلبًا وأصفاهم روحًا هو من يؤنس الآخرين بمجالسته، ويمتعهم بأحاديثه، ويضحكهم ويخفف عنهم ثقل ما يجدونه من هموم.

والمزاح مكوِّنٌ هام من شخصية هؤلاء الطيبين أصفياء الروح. بل إنه عنصر أساسي في كل علاقة بشرية. إن تمازح الناس يعني أنهم قد أزالوا الكُلفة والحواجز بينهم، واستطاعوا أن يتداخلوا ببعضهم جيدًا.

وقد يصل حال المزاح بأحدنا إلى أن يصير مثارًا للمزاح والضحك، فهل هذه الحال مقبولة؟

الأصل أن المزاح يُسقط الكلفة بين الناس، ولا يسقط الاحترام، وهذا فارق جوهري مهم. إذ أن سقوط الكلفة يعني سهولة التعامل بين الناس، ولكن سقوط الاحترام، يعني إتاحة المجال للتطاول والاعتداء.

وكما أن بعض السفهاء والسفلة يتطاولون على الناس بسبب زلة لسان أو غلطة صغيرة، فإنهم كذلك يتمردون ويعتدون عندما يُفسح المجال لهم بذلك، ويفعلون ما هو أسوأ من ذلك عندما يجدون أن الطرف الآخر قد تمادى في حِلمه وطِيبة قلبه.

حسن الخلق والمرونة في التعامل وطيبة القلب، كل ذلك مطلوب ومستحب شرعًا وعقلًا، واستيعاب الناس على اختلاف عقولهم وطبائعهم قد يكون ضروريًا لجني بعض المصالح منهم أو دفع مفاسدهم وشرورهم.

لكن هذا لا يعني بحالٍ من الأحوال، أن نفسح المجال لمن أراد أن يستطيل بلسانه القذر، وقلبه المريض علينا. فطيبة القلب لا تقتضي السذاجة، والمرونة لا تقتضي العجز عن رد الظلم والعدوان، وحُسن الخلق لا يناقض إفحام السفيه إذا استلزم الأمر ذلك.

والحق أن بعضهم يحسب أنك ساذجٌ مغفل لمجرد أنك تُكثر المزاح معهم. ولذا يبادلونك بمزاح هابط وقبيح.

واعتبر بهذه العوامل؛ لتفرق بين المزاح الاعتيادي والمزاح القبيح:

(عدم الاعتذار عند ورود كلمة نابية أو إساءة بحقك - تكرار المزاح باستمرار - أن تكون دائمًا في موضع السخرية والضحك).

وجود أي من هذه العوامل السابقة يعني اهتزاز الاحترام المتبادل، واستطالة الطرف الآخر. وهذا يقتضي أن تراجع نفسك، وتخلو بها، وتتأمل تصرفات الطرف الآخر لتعرف سر استطالته وظلمه، وتعامله بما يليق به.

إن بعض الناس وإن واجهوك بمزاحٍ ثقيل (بعض الشيء) فإنهم يكنون لك قدرًا كبيرًا وعظيمًا من الاحترام والتقدير والمحبة. في حين أنك تجد أن من يزدريك؛ يواجهك بأقبح المزاح الذي لا تستطيع مجاراته لسمو خلقك عن مجاراة السفاهة.

يصعب تقرير قاعدة عامة في كيفية التعامل مع من استطال عليك بمزاحه، لاختلاف طبائع الناس وعقولهم، وكذلك اختلاف تجاربهم، ويبقى للخبرة دورٌ كبير في حل مثل هذه المشكلات.

لن يكون استمرار الصمت والحلم المستمر حلًا رادعًا لكل الناس، ولن نستطيع أيضًا لي ذراع كل من أخطأ بحقنا. ويبقى تحديد رد الفعل الأمثل راجعًا إلينا بحسب كل موقف.

وأختتم ما سبق بأثر مميز عن الصحابة.

عن بكر بن عبدالله قال: ((**كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتبادحون بالبطيخ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال**)) [رواه البخاري في الأدب المفرد].

ومعنى التبادح بالبطيخ هو: التراشق بقِشَر البطيخ، وليس بالبطيخ نفسه.

## [9]

## نحن والانجليزية: معرفة الكلمات

يسرع كثيرٌ من متعلمي الانجليزية لتعلم الكلمات وفهمها، عن طريق ترجمتها في مواقع وبرامج الترجمة الفورية إلى لغتهم الأصلية.

كنا نستعمل برنامج (الوافي الذهبي) في الماضي ، ثم استعضنا عنه باستخدام (Google translate). فهل كانت هذه الطريقة مفيدة في اكتساب الكلمات الانجليزية وفهمها؟

لا أرى ذلك. لأن هذه أدوات ترجمة مباشرة لا يحتاجها المبتدئ في تعلم الانجليزية، فهو ليس مترجمًا للانجليزية. وهو أشد حاجة من غيره إلى فهم هذه اللغة والغوص في أعماقها بما يعينه على فهم من يتحدث بها، والتواصل معه على نحو مفهوم.

من يتعلم الانجليزية أو أي لغة أخرى هو كمن يلبس نظارة أخرى ليرى بها الكون من حوله، سيعبر عن ما يراه بسياقات أخرى وكلمات مختلفة عما اعتاده. والخلط بين اللغتين يؤدي إلى ركاكة ظاهرة في التعبير، وهذا ما نراه عند كثيرٍ ممن تطرف وغلا في تعلم الانجليزية على حساب العربية مثلًا. بل تجد من يتكلف استخدام تعبير انجليزي كـ(made my day) ويترجمه إلى (صنعَ يومي) وهي ركاكة لا معنى لها. وقد رأيت من يستخدم (put yourself in his shoe) أي: (ضع نفسك في حذائه) وهي تعني أن تضع نفسك في مكانه. ولكنه تعبير فاسد في العربية وإن كان مقبولًا في الانجليزية. ومن أسباب هذا الخلط الإكثار من الترجمة الفورية، وهو سبب كافٍ لجعلها خيارًا سيئًا لتعلم اللغة.

ومن ثمَّ فالإصرار على هذا المسلك في التعلم غير سديد، والأولى الرجوع إلى المصادر الأصلية للغة الانجليزية، وتحديدًا المعاجم والقواميس التي اعتنت بجمع الكلمات وتبيان معانيها. وسأتحدث عن بعض المعاجم الإلكترونية التي انتفعت بها في تعلمي للانجليزية.

(1): قاموس كامبردج (Cambrdige Online Dictionaries)، وقد كنت أستخدمه نحوًا من عام ثم اكتشفت بعد حين أنه محدودٌ في مجموع كلماته، وأنه لا يفي بشرحها جيدًا في بعض الأحيان، على أنه يعرض الفرق بين الانجليزي البريطاني والأمريكي في نطق الكلمة أو الكتابة، كما أنه يحتوي على قواميس مختلفة للانجليزية مع غيرها من اللغات كالفرنسية والألمانية والعربية وغيرها [والحق أن ما قلته هنا قديم نسبيًا، إذ تم الارتقاء بالقاموس كثيرًا وتوسعة مفرداته].

/https://dictionary.cambridge.org

(2): قاموس أوكسفورد وهو أغنى وأثرى من الأول بالمصطلحات، بالإضافة إلى احتوائه على ميزة مهمة وهي المرادفات والمتضادات (وسنتحدث عنها لاحقًا).

وفيه ميزةٌ أخرى وهي قواعد النحو الموجودة فيه. بالإضافة إلى إشارته للجذر اللغوي واشتقاق الكلمة، وأصلها التاريخي.

/https://www.oxforddictionaries.com

(3): القاموس (Dictionary.com)، وهو قاموس يشابه أوكسفورد في المزايا، مع تضمّنه لأنشطة أخرى ومسلية لها تعلق باللغة.

/https://www.dictionary.com

(4): قاموس أوربان (القاموس الشعبي)، وهذا القاموس يختلف عن البقية في إحاطته بمعاني الكلمات العامية والدارجة، والاختصارات الانجليزية المنتشرة في مواقع التواصل الاجتماعي، والتي قد لا تجدها في كثير من المعاجم الرسمية أو برامج الترجمة الفورية.

/https://www.urbandictionary.com

(5): المترادفات والمتضادات التي يجمعها كتابٌ واحد يدعى (thesaurus)، وهو موضوع لجمع الكلمات التي تتفق في المعنى (Synonyms) والتي

تفترق في المعنى (Antonyms) . وأوّل من جمع هذا في الانجليزية الحديثة هو بيتر مارك روجيت 1852م[1].

أشهر قاموس يحوي المترادفات والمتضادات هو Thesaurus.com

/http://www.thesaurus.com

على الهامش:

(1): قواميس أخرى لم ترد في صدر المقال:

/http://www.thefreedictionary.com

/https://www.merriam-webster.com

/https://www.macmillandictionary.com

(2): يمكن الاستعانة بالترجمة الفورية والمباشرة بعد فحص الكلمة من مصادرها الأصلية، لمعرفة المقابل العربي لها، وما أرفضه هو اعتماد المتعلم عليها دائمًا.

[1] https://www.britannica.com/biography/Peter-Mark-Roget [last access: 15/10/2018]

## [10]

## ماذا نفهم من عبارة (عِشْ شبابك)؟

نفهم منها وجوب استغلال فترة الشباب بما ينتفع به المرء، وكذلك الاستفادة من فراغ الوقت والذهن فيها، وأيضًا الترفيه عن النفس ورياضتها بدنيًا وذهنيًا بما يتناسب مع هذه المرحلة.

بالإضافة إلى أن هذه العبارة، تعني أن يغامر المرء في شبابه، ويقتحم المخاطر (في سبيل المعالي طبعًا)، ويستفيد من علاقاته الاجتماعية، مستشعرًا حديث السبعة الذين يظلهم الله ومن بينهم ((**شابٌ نشأ في عبادة الله**)) [رواه البخاري].

ومن الفهم السائد المغلوط لهذه العبارة هو الظن أن فترة الشباب محصورة في العبث والمجون، وارتكاب المعاصي بألوانها وأشكالها. لأن العمر ممتدٌ، وباب التوبة مفتوح، ومرحلة كِبَر السن هي مرحلة التوبة والإنابة والرشد.

وأقول -تصحيحًا لهذا الفهم المغلوط- الشباب مرحلة سريعة الانقضاء والزوال، والإنسان محاسبٌ عنها كما جاء في الحديث: ((**وعن شبابه فيم أبلاه**)) [رواه الترمذي]. وسرعة انقضاء الشباب تحض العاقل على حسن استغلال المرحلة أحسن استغلال.

كما أن عادات المرء -التي صنعها- في ماضيه، تحدد حياته ومستقبله لاحقًا، خاصةً إذا تعلق بها، وصار مُقيّدًا في إسارها. فيزيد احتمال استمرار المرء وإصراره على عصيانه وعناده حتى بعد انقضاء الشباب.

"لكل امرئٍ من دهره ما تعودا"

بالإضافة إلى أن تلطخ الإنسان بالمعاصي (خاصةً الكبائر) يلحق به وصمة عار، ماضيًا أسود يصعب تجاوزه مستقبلًا. وقد يستغل الشيطان هذه السمعة السيئة ليثنيه عن التوبة النصوح، ويغرقه في المعاصي والآثام، والحزن المتواصل الذي لا خير فيه.

فهل بقي في شبابك ما يستحق أن تضيعه وتهدره؟

## [11]

## خواطر عن الجامعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعدُ، فما زالت تقنيات التعليم والتفهيم قابلة للتغيير والتحديث والنقاش المستمر، وما زال الجدال حول كفائتها مطروحًا متداولًا بين الناس. كيف لا وهم يرون مخرجات الجامعات التي تتفاوت في درجاتها بين الناجح المخترع والفاشل المطرود وبينهما متخرج يتأمل في شهادته مرارًا ثم يغلق عينيه ويتخيل نفسه حائزًا على وظيفة ينافسه آلاف المتخرجين مثله. لا يزال كثير من الطلاب يقاسون مرارة اختبارات الجامعة، وشدة أنظمتها، وتعسف دكاترتها، فيلعنونها، ويكملون مسيرهم في هذا المسار المجهول الذي يبدو أحاديًا بالنسبة إليهم. تراهم يتحدثون تارة بلغة الحقوقي الذي يقصد العدل ولا يعدل عنه بشيء، ويتحدثون تارة أخرى بلغة طالب الفضل والإحسان الذي ما فتئ يستعطف دكاترته لبضع درجات كي يتجاوز المادة إلى ما بعدها وينجو من عواقب حملها مجددًا في فصل آخر.

تختفي محاسن النظام الجامعي وسط هذه الصورة المشوشة التي لا يبرز منها غير جانبها المظلم الكالح. تتلاشى أهمية ضبط عامة الناس بنظام يستحيل تطبيق جزئياته كاملة على الأرض. يزيلها ذلك الضوء الساطع الذي يكشف عن خلل يكتنف جسد النظام، وهو خلل مطرد لأن الانخراط في هذا النظام عادة اتفق الناس عليها لذاتها لا لغاية محمودة؛ حتى وهم ينظرون إلى قبيح نتاجهم. يغيب عن الأذهان كثيرًا أن الرغبة الذاتية في التعلم لا توجد عند كثير من الناس، وأنهم لا يتعلمون إلا بقدر ما يرتبط تعلميهم بلقمة عيشهم.

إن الجامعة -على ما فيها من انتقادات- تجربة ثرية لمن تفطن إليها، واستفاد من معايشته لظروفها المختلفة. وهي مرحلة حتمية لأكثر الناس في زماننا، فلا مناص من دخولها.

وها هنا بعض الخواطر المتفرقة حول جوانب من الجامعة.

### 1- جدلية ما نهوى وما يتوجب علينا فعله:

تنشأ هذه الجدلية في نفس الطالب قبل دخوله الجامعة، وهو ينظر في مختلف التخصصات التي منها ما يوافق رغبته، ومنها ما يتعارض معها قطعًا. وتبدأ عند هذه اللحظة تحديدًا الموازنات بين الرغبة والحاجة، بين رغبة الإنسان ورغبة والديه. ليس كل ما نرغبه مفيدًا حقًا، وليس كل مفيد مرغوبًا. بين هذين الخطين العريضين تتدرج محاولات التوفيق والاستبعاد.

فإن توافقت الرغبة الحقيقية في التخصص مع قرار دراسته (وهو موافقة تكاد تكون نموذجًا متفردًا لا يقاس عليه) فذلك مطلب عالٍ بلا شك. ولكن حصوله ترف لكثير ممن شقوا طريقهم بأنفسهم، وكابدوا مشقة مخالفة الهوى، ومجانبة الراحة طلبًا للكمال والعز. وينبغي أن ننبه إلى أن هذه الرغبة الحقيقية تشغل بال المرء وفكره، فلا يتخيل نفسه في غير تخصصه، ولا ترتسم مساحات إبداعه وذهنه الوقاد في غير مجاله المعرفي الذي يبذل فيه كافة جهده. إننا نتحدث عن شغف يتجاوز تحقيق المعدل المرتفع، والتفوق على الأوائل في الترتيب الجامعي. فهل هذا الشغف متقد في نفوس الطلاب؟ سرح نظرك في واقعهم، وسترى خلاف ذلك. قليل من هؤلاء من يريد إكمال الدراسات العليا في تخصصه، فضلًا عن درجة الدكتوراه والسلك الأكاديمي والمجال البحثي. وأقلهم من يتجاوز إطار الوظيفة التي عين فيها من قبل. بل إن كثيرًا من الطلاب يتخرجون بغير معرفة حقيقية بمجالهم، ولا حتى الأساسيات التي يفارقون بها غير المتخصصين.

فإن كان واقع هؤلاء بعيدًا عن محبة العلم لذاته، وكانت نفوسهم قاصرة عن العزيمة والإرادة التي تدفعهم لنهاية مسار التعلم (الذي لا نهاية له في حقيقة الأمر)، فينبغي أن نقدر وجود الجامعة الذي يجبرهم على تقدير العلم واحترامه ويضطرهم لخوض غماره ولو قليلًا.

وما دمنا نتحدث عن الرغبة في التخصص، فلنشر إلى وهم الاعتقاد أن للرغبة تأثيرًا في اختيار التخصص المناسب.

يشيع بين كثير من الناس والمدربين أن الرغبة في تخصصٍ أكاديمي عامل مؤثر في اختياره من بين سائر التخصصات الأكاديمية. لكن واقع الناس

يتعارض مع هذا التنظير، فأكثر الناس إنما تخصصوا في الجامعات لتحصيل الوظائف الجاهزة. لأن هذه الوظائف تتطلب شهادة جامعية معتمدة تجعل أرباب الوظائف يطمئنون إلى كفاءة المرشح إلى أعمالهم، بالإضافة إلى عوامل أخرى.

التفوق الدراسي هو نتيجة لممارسة عدد من العادات التي يعرفها الطلاب، وهو كعادة تنظيف المنزل، وترتيب غرفة النوم التي لا تتطلب رغبة استثنائية لعملها. بل تتطلب مسؤولية وجدًا واجتهادًا. وأكثر الناس -كما قدمنا- لا يتجاوز طموحهم سقف التفوق الدراسي. فما شأن الرغبة بهذا السقف المحدود؟ والحق أنه لا تلازم بين التفوق الدراسي والرغبة. بل إننا نرى من يتفوق دراسيًا في تخصص يمقته، وقد نرى من يفشل في تخصص يحبه ويهيم شغفًا به.

أمر آخر، اختيار التخصص المناسب راجع إلى القدرة عليه، والاقتناع بجدوى دراسته. أما الرغبة به، فقد تنقلب جحيمًا على صاحبها عندما يدرك أنه قد اختار تخصصًا عديم الفرص الوظيفية. سيبغض اليوم الذي غلب فيه هواه على عقله.

2- **تعذر إقامة العدل المحض دومًا:**

الغش في الاختبارات والواجبات وسائر النشاطات ممنوع في الجامعة، وهو مظنة إلغاء الدرجات، بل الطرد والإبعاد في أسوأ الأحوال. ولكنه وسيلة كثير من الطلاب للنجاح والتفوق، وأحوالهم في ذلك مختلفة، فمن كسول أقعده خموله عن التحصيل، وآخر بنصف فهم واستيعاب، إلى مستوعب فاهم خانته ذاكرته في وقت حاجته إليها. والغش نفسه على درجات. فليس غش اختبار كامل كغش فقرة وفقرتين. استحضر ما قلناه عن الغش وانتقل معي إلى ما بعده.

حضور الكلاسات (أو الحصص الدراسية) واجب قانوني على الطالب، وتقصيره فيه ينعكس على درجاته. بل إن هناك حدًا معينًا من الغياب يرتبط بالحرمان من الجلوس للاختبار النهائي وربما الرسوب في المادة. لكن الدكاترة أنفسهم يختلفون في معيار الحضور، فمنهم من يرفض التأخر

مطلقًا، ومنهم من يتساهل في ذلك. بل قد اتفق لي أن حضرت حصة قبل نهايتها بدقيقتين أو أقل فأشرت إلى الدكتور أستأذنه في التوقيع فسمح لي وابتسم.

الغش في الجامعة والتساهل في حضور الحصوص هما مما يمكن للدكتور كشفه بأقل مستوى من الذكاء والحيلة. ماذا لو كان الدكاترة جميعهم على نسق واحد من الالتزام بالقوانين الصارمة كما هي بقطع النظر عن أي أحوال أخرى؟ بل ماذا لو سارت كل الجامعات على هذه الوتيرة؟ سنجزم حينها أن نصف الطلاب راسبون في هذه الجامعات. إن لم يكن أكثر من ذلك. وهنا حديثٌ عن ثلاث مساحات تتقاطع كثيرًا وهي الظلم والعدل والفضل. فلو قدرنا أن الغش مسموح به صراحة في كل الجامعات لكان ذلك ظلمًا بينًا، ولو قدرنا أنه ممنوع صراحة وضمنًا بحيث يتعذر أن يغش طالب واحد لرسب كثير من الطلاب. خاصة وأن من الأسئلة ما يتجاوز مستوى فهم الطلاب للمادة التي يُختبرون فيها. وليسوا كلهم في الهمة والعزيمة سواء. وليست قابلية الصلاح والاستفادة من العفو موجودة عندهم جميعًا. وهنا يتجدد السؤال: هل تطبيق هذه القوانين بصرامة متناهية يحقق أهداف الجامعة؟ وسواء قلنا أن هدف الجامعة هو التعليم حقًا أو التأهيل للتعليم والعمل، فإن كلا الهدفين يتعذر تحقيقهما مع صرامة القوانين. اللهم إلا أن يقال أن بنية الجامعات وأنظمتها واجب تغييرها، وهذا أمر آخر على كل حال.

ومن هنا فإن تقاطع المساحات الثلاثة يكون في صالح المؤسسة التعليمية والطلاب أحيانًا أو كثيرًا، ما دمنا نتحدث عن وضعها الحالي. وهذا يقودنا للجانب التالي.

3- **طيف متنوع:**

تمثل الجامعة في واقعها عالماً مصغرًا يمثل عالمنا الكبير الذي نعيش فيه ونتفاعل مع أجزائه، فهي وإن كانت مصممة لتنميط الطلاب في صورة الاجتهاد والانضباط الأقصى؛ إلا أنها تحمل تنوعًا للناس بخلفياتهم الدينية والعرقية والمجتمعية. هذا التنوع كنز ممتلئ بالمعلومات التي ليس من مظانها جوجل أو المكتبات. إننا نختبر مسلماتنا وفرضياتنا بتنوع حتمي

كهذا. وهو خبرة عملية يجب اكتسابها في مرحلة ما قبل الانشغال بمعتركات حياتية أخرى. هذا التنوع لا يقع على الطلاب وحدهم بل يمتد إلى الدكاترة الذين يختلفون في أمزجتهم ومتطلباتهم وتجاربهم الشخصية ورؤاهم للحياة. ألا يذكرك هذا بأرباب الأعمال ومدراء الوظائف؟

ولهذا الطيف المتنوع أثره الظاهر في الجامعات التي تسمح بشيء من العمل السياسي والنقابي لطلابها. سترى حينها مناظرات وأنشطة ضخمة بالغة الأثر والأهمية. إن قدرًا لا بأس به من تاريخ الدول الحديثة قد سطره طلبة الجامعات.

**4- معيار للانضباط:**

إن قوانين الجامعة كما قدمنا ليست قابلة للتطبيق العملي بحذافيرها لأن ذلك يعطل المصالح المرجوة من سنّها في المقام الأول، ولذلك تجد مساحات لا بأس بها من الاستثناءات. كما أن الدرجة الجامعية وشهادتها لا تشمل جميع مناحي الخبرة العلمية والعملية المطلوبة للنجاح في الحياة. إلا أنها معيار معتبر مستقر ينبغي تقديره على الأقل. ومسارها هو مستوى من مستويات قياس أداء الناس وفعاليتهم. وهو ليس أشرف درب يسلكه أولو العزيمة والإرادة، وليس -كذلك- من حيل الضعفاء والفاشلين. ولكنه معيار يمكن الاستئناس به واعتباره لغيره من مراقي الكمال والنجاح. ولن يعتد به إلا قاصر الهمة، ولكنه لم يوضع لذلك بالطبع.

**5- علاقات اجتماعية:**

توفر الجامعة بيئة خصبة لتكوين العلاقات الاجتماعية، وذلك لأنها تجبر الطلاب -كما أسلفنا- على الامتزاج ببعضهم، لارتباط مصالحهم الفردية ببعضها البعض. وكم استمرت علاقات الجامعة لتشمل مراحل العمر الباقية بعد ذلك. يفترض أن تكسب المرحلة الجامعية من ينخرط فيها بعضًا من الخبرة الاجتماعية. سيجد في جامعته أصناف الناس المتفاوتين في أخلاقهم وعقولهم، وسيضطر إلى التعامل معهم، والتنازل لأجل المصلحة العامة أحيانًا، والتمسك بالحق أحيانًا أخرى.

والتأمل في أنظمة الجامعات، وواقعها، يؤدي إلى ملاحظات أخرى غير ما أشرت إليه. وأرجو أن أكون قد وفقت في تحفيز الذهن لمعرفة المزيد منها.

والله أعلم وأحكم.

البراء بن محمد.

الأحد 1439/4/27هـ

2018/1/14م

## [12]

## لا تنشغل بنفسك

من الاعتراضات التي نسمعها كثيرًا عند نقدنا للآخرين وأخطائهم (انشغل بنفسك عن أخطاء الآخرين)، وهو وإن كان يحمل شيئًا من الحق من جهة أنه تربية للإنسان على إصلاح أخطائه، وتنمية حسناته، إلا أن إيراده في هذا الموضع لا يبعد أن يكون من المغالطات وذلك من عدة أوجه:

1- أنه تشتيت لموضوع النقد، فأنا عندما أنتقد زيدًا أو عبيدًا، ثم يأتي أحدهم ليقول لي: (انشغل بنفسك عن أخطاء الآخرين)، فإنه بذلك يهدر نقدي هذا، ويشتته، من غير أن يبين إن كان هذا النقد حقًّا أم باطلاً، صحيحًا أم كاذبًا.

2- أن قولك للمُنتَقِد: (انشغل بنفسك عن أخطاء الآخرين)، يعني الاتهام المبطن له بالتفريط في إصلاح نفسه، وهو ادعاء بأنه مقصر في ذلك، وهو ادعاء يفتقر إلى الدليل.

3- يمكن قلب هذه الجملة على صاحبها بسهولة، فما دام يعتقد أن نقدك للخطأ خطأ، فهو قد انشغل بخطئك عن خطأ نفسه، وهو نفس منطقه الذي يمليه عليك.

4- بعض أخطاء الآخرين تعود علينا بالمشكلات والمصائب، ونحن نحتاج لعلاجها لنعالج أنفسنا.

5- يعيش الناس مجتمعين ويؤثر بعضهم على بعض، ولسنا نعيش في كواكب منعزلة حتى نطلق هذه المقولة بلا قيود.

6- إطلاق هذه المقولة يفضي لإبطال شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7- ولازم هذه المقولة هو كمال الناصح، وعصمته ليسوغ له نصح المنصوح، وهذا ليس واجبًا أو شرطًا، بل إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروعٌ

ولو من الفاسق. كما قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب"[1].

8- يستدل أصحاب هذه المقولة دائمًا بقول الله تعالى: ((**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**)) [البقرة/44]، والحقيقة أن الذم المتوجه لهؤلاء ليس بسبب نصحهم لغيرهم مع وقوعهم في نفس الخطأ، ولكن لنسيانهم لذلك، وتأكد قيام الحجة عليهم.

إذن لهذه الوجوه الثمانية لا يصح لنا أن نطلق مقولة: (انشغل بنفسك عن أخطاء الآخرين)، ويمكننا أن نستبدلها بعبارة أفضل ذات معنى أدق وألطف وهي: (من الجيد أن يعتني الإنسانُ بنفسه، مع حرصه على نصح الآخرين ومحبة الخير لهم).

[1] (إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار ابن حزم، ط1 1426هـ-2005م، ص789).

## [13]

## إخفاء الذات وضعف الرقابة

ربما انفردنا بأنفسنا كثيرًا، وقمنا بغرائب الأفعال التي لا نفعلها بحضرة الناس، الغناء بصوتٍ عالٍ، الرقص، السرقة أو الاختلاس...إلى آخره.

والسبب في ذلك أن وجود الناس ورقابتهم قيدٌ لنا، ومانعٌ من موانع الحرية المطلقة، بغض النظر عن ماهية هؤلاء الناس وصفاتهم (صغارًا، كبارًا، مبصرين أو عميان، أقارب أو أغراب).

بل الأغرب من ذلك، هو أن وجود الكاميرات والمرايا قيدٌ آخر مماثل لقيد الناس، فقد ينفذ المرء أفعالاً غريبة، فإذا رأى نفسه في المرآة خجل وانكسر وغيّر من هيئته.

وليس ببعيد ما يحدث عقب برامج الكاميرا الخفية، حيث يشعر الغاضب أو الخائف أو المنفعل بالحرج ويضحك من نفسه. إذ كيف له أن يتسرع في مقلبٍ مُعدٍ مسبقًا؟

إذن، فالرقابة هي قيدٌ للإنسان سواءٌ كانت من مخلوقات عاقلة أو جمادات، وذلك لأنها تلسع ضميره أو تعرِّضه للعقوبة، أو تشوِّه صورته لدى الناس.

وإن كان الإنسان معدوم المبادئ الأخلاقية أو يمتلكها ولكنها مهتزة، فإنه سيسعى لتجاوز القيود التي تمنعه عن الرذيلة أو (الحرية المطلقة) مثل: (الدين-العادات والتقاليد-الرقابة-القانون-..إلخ). وسنتحدث قليلاً عن الرقابة.

يحتال المجرمون وأهل اللصوصية بعدة حيل لإخفاء هوياتهم، من لبس الأقنعة السوداء إلى انتحال الأسماء والشخصيات، وتضليل الكاميرات وغيرها للخروج من إشكالية الرقابة.

لذا لم نسمع عن لصٍ أو مجرم نفذ جريمته بوجهه الحقيقي أمام الناس إلا نادرًا.

فكرت من فترة قريبة في إخفاء هويتي تمامًا، والكتابة تحت اسم مستعار، والمبالغة في التحفظ على أي معلومة شخصية، كما يفعل الكثير من الكتّاب هنا.

بحثت كثيرًا عن مسوِّغٍ قوي لفعل ذلك، هل هي الدواعي الأمنية؟ أم هي جرائم ارتكبتها هنا وأرغب في سترها؟ لم أجد إلا مبررًا واحدًا وهو حتى لا أرى أخطائي في المستقبل باسمي الحقيقي وصورتي، وحتى لا تستغل ضدي.

فكرت بعدها، ألا يسوغ لنا القناع الذي نرتديه ارتكاب الجرائم والأخطاء؟

نعم هو في ذاته ليس محرضًا لارتكاب الجريمة، ولكنه يساعد عليها بشكلٍ كبير، والدليل هو كثرة الجرائم الالكترونية، والمعرفات الوهمية والتي تستغل ذلك لنشر المواد الإباحية أو العقائد والأفكار الفاسدة، أو حتى للتعبير عن مشاعر وأحاسيس لا يعبر عنها الناس بوجوههم وأسمائهم الحقيقية.

إنها استعاضة عن ضمير المتكلم (أنا) بضمير الغائب (هو) أو اسمٍ مجهول كـ(زيد) و(سعيد)، وتصير الجملة هكذا "هو ارتكب الجريمة"، وبذلك تسقط المسؤولية عن صاحبها الذي أنام ضميره مؤقتًا.

هذا مع أن الجوهر واحدٌ لم يتغير، الماء يبقى ماءً في حالته السائلة أو الغازية أو الصلبة.

ومع الاستمرار في عملية إخفاء الوجوه وطمس الهوية (لغير سبب مقبول)، فإن المرء سيعتاد الكذب والخيانة، والكيد والروغان، ويصير منافقًا ذا وجهين، ويلج نفقًا مظلمًا لا مخرج منه.

نختم هذه المقالة الطويلة بمقولة الجن واعترافهم بقدرة الله اللامتناهية، وعلمه المحيط بكل شيءٍ سبحانه.

((**وأنَّا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربًا**)) [الجن/5].

والله أعلم وأحكم.

## [14]

## الثأر لأجل المقدسات

من طبيعة المسلم أن يثأر ويغضب ممن يمتهن مقدساته، وقد يغلو قليلاً في ردة فعله، إلا أن الشاذ الغريب هو أن يقابل تلك الإساءات بوجهٍ بارد متبسم، أو ينهى إخوانه عن إظهار الغضب بالمظاهرات ورفع اللافتات.

1- قد يقول أحدهم أن هؤلاء الغربيين لم يشوهوا الإسلام إلا بسبب أفعال أصحابه، وهذه كلمة حق يُراد بها باطل، فمع أن لتخاذل المسلمين عن نصرة الدين، والتمسك به دورًا في جعلهم أضحوكة للشرق والغرب، إلا أن تاريخ دعوة التوحيد منذ عهد نوح عليه السلام حتى عصرنا، يشهد بأن كثيرًا من الكافرين يسخرون من الإسلام في كل الأحوال، في القوة والوهن، والسلم والحرب، واللين والشدة.

ستتشوه صورتك -أيها المسلم- عند الغربي الكافر سواءٌ نهضت بنفسك أو تقهقرت في القاع، ويتفاوت ذلك بدرجات مختلفة.

2- قد يعترض بقوله: "لنكتم غضبنا ونفرغ هذه الطاقة في الدعوة إلى الإسلام".
لم تنقطع الدعوة إلى الإسلام عامًا واحدًا منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، فحتى في أشد حالات المسلمين ضعفًا، كان الناس يخرجون من ظلمة أديانهم وفلسفاتهم إلى نور الإسلام.

والسؤال هو: ألا نستطيع دعوة هؤلاء الكافرين مع الإشارة إلى جرمهم وظلمهم؟ بلى بالتأكيد، ولن يؤثر ذلك في الدعوة أبدًا!

أليس القرآن العظيم الذي تضمن أعلى وأرقى أساليب الدعوة والخطاب للإنسان قد احتوى أيضًا وصفًا شديدًا لمن يخالفه ويهاجمه؟

ألم يقل الله تعالى: ((**والكافرون هم الظالمون**)) [البقرة/254]؟ ألم يقل سبحانه: ((**كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين**)) [آل عمران/86]؟ ألم يقل جل في علاه: ((**إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرًا لن تقبل**

**توبتهم وأولئك هم الضالون)) [آل عمران/90]؟ ألم يقل تعالى: ((ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون))** [الحشر/19]...وغيرها الكثير من الآيات؟

لا مانع أبدًا من أن نعظ المجرم بوصفه بالإجرام، وتقريعه بذلك. فقد يكون ذلك أدعى لانكفافه عن الجرم والضلال، وكسر سلطان الهوى والكبر.

3- قد يعترض أيضًا بقوله: "إن العالم سيحترمنا إن تجاهلنا هذه الإساءات، وتعاملنا بلطف".

وهذا خطأ فاحش، فإن تهاونك في الدفاع عن مقدساتك لا يخرج عن أربعة احتمالات: 1- إما أنك كافر بها. 2- أو أنك تقدسها، ولكنك ضعيف الإيمان بها، ولا تحبها تمام المحبة. 3- أو أنك عاجزٌ ضعيف. 4- أو أنك جبان.

إن غريزة الدفاع عن النفس موجودة في كل إنسان سليم الفطرة، ومثلها الغيرة، وذلك قبل أن نتحدث عن الحكم الشرعي لساب النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك عمق المحبة له، ووجوب نصرته والذب عنه. فلم نتجاهل أي إساءة تتوجه لمقام النبي صلى الله عليه وسلم؟

ثم إن المسكنة والخوف في عالم المصالح الذي يأكل القوي فيه الضعيف، يجعلك عرضةً للهضم والظلم، فيجب أن تكون قويًا حتى يحترمك الجميع، ثم بعد ذلك تفرض أخلاقك وعقيدتك.

ومهما جرى من غلظة ومبالغة في ردة فعلك قوية، فقد يتفهمها بعض عقلاء الكفار -وإن كنا لا نتطلب تفهمهم بطبيعة الحال- ولكن سكوتك عن مواجهة الظلم والظالمين، لا مسوغ له عند أي عاقل.

4- اعتراض أخير، قد يقول قائل: "هل يعقل أن يحرك رسامٌ مغمور أو فيلمٌ فاشل ملايين البشر؟ أميتوا الباطل بعدم ذكره!"

وهنا يبقى السؤال هل هذا الباطل قابلٌ للتجاهل وغض النظر؟ أم أنه مجاهرة واضحة وصريحة بالمنكر والكفر ولا تحتمل غط الطرف والسكوت؟

صحيح أن مكانة النبي صلى الله عليه وسلم عالية شامخة في السماء ولا يرقي إليها فضلًا عن أن ينحط بها جاهلٌ سفيه، ولكن التهاون في إسكات المستهزئين، يؤدي إلى زيادة تطاولهم وكفرهم.

هل تريدون منا أن نكون كعامة النصارى اليوم؟ والذين يرون صور النبي الكريم عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد عبث بها العابثون، وجعلوها أضحوكة للعالمين، دون أن يحرك ذلك فيهم ساكنًا.

كما أننا ننتصر لنبينا عليه الصلاة والسلام بالحب والسلام، فإننا أيضًا ننتصر له بالحرب والقتال إذا استدعى الأمر.

"ووضع الندى في موضع السيف بالعلا *** مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى"

وفي نهاية المطاف، فإنه ينبغي لنا أن نهمل أي ردة فعل عنيفة تحدث لهؤلاء المجرمين بعد تطاولهم على مقدساتنا، من تفجيراتٍ أو زلازل وبراكين، أو خسفٍ ومسخ، أو حتى هجمات مسلمين انتفضوا غيرة للدين. إنهم يستحقون ذلك قطعًا، ولا كرامة لهم.

## [15]

## عندما يكتسي الوهن ثوب العزة

يبدو أن تداعيات حادثة شارلي لم تتوقف بعد، بل إنها تتزايد وتتسع يومًا بعد يوم. وقد تحدثت في مقال سابق (الثأر لأجل المقدسات) عن البرود الذي يتسم به الكثير من المسلمين تجاه قضية سب النبي صلى الله عليه وسلم وانتقاصه.

إلا أنني وجدت أنه من المهم التعقيب على استدلال مشهور ومنتشر بين الناس، وذلك لأنه يعكس تصورًا فاسدًا للواقع، وقراءة خاطئة للماضي.

يقول أحدهم بعد أن حث إخوانه المسلمين على الهدوء والعفو عن من انتقص النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينبغي أن نسامح هؤلاء المنتقصين كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعد فتحه لمكة، حيث قال: ((**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)) [السيرة النبوية لابن هشام].

لا يخرج الخطأ في الاستدلال الموجود في الجملة السابقة من خلطٍ بين القضايا أو تصور خاطئ لمفهوم العفو. وأيًّا كان فالاستدلال باطل وغير دقيق وذلك لما يأتي:

العفو والصفح لا يكون إلا بعد المقدرة على أخذ الحق ممن انتزعه ظلمًا، فالعاجز عن أخذ حقه لا يقال عنه أنه عفا عمّن ظلمه وانتهك حقه.

والنبي صلى الله عليه وسلم لما قال: ((**اذهبوا فأنتم الطلقاء**)) -على فرض ثبوتها- فإنه قد فتح مكة وأصبح قادرًا على معاقبة قريش، ولكنه لكرمه وحسن خلقه وعظمته -عليه الصلاة والسلام- عفا عنهم.

لو قال أحدهم أننا في زمان ضعف وتخلف، وأننا غير قادرون على أخذ حقنا (كما لو أننا نعيش الحقبة المكية)، ومن ثمَّ فإنه يجب علينا أن نكف عن فعل كذا وكذا حتى نتمكن وتقوى شوكتنا، لكان لكلامه حظٌّ من النظر والاعتبار والتأمل.

أما اتخاذ منهج السكوت والتجاهل بصفة دائمة عند انتهاك المقدسات، وتغليف ذلك بالقول أنه من الحلم أو العفو أو حسن الخلق، فلا يخفى على متأمل أنه منهج متهافت باطل.

والله المستعان.

## [16]

## البحث في القرآن

يمثّل القرآن الكريم مرجعًا أساسيًا ومهمًا لنا (نحن المسلمين) في أحكام الحلال والحرام، والأخلاق، وكذلك قصص الأولين، وأخبار اليوم الآخر وتفاصيله -وقبل ذلك كله جوهر القرآن ولبه- الحديث عن الله سبحانه وتعالى وصفاته.

ورغم كثرة سور القرآن إلا أن الله سهّل حفظه وتدبره وتلاوته على عباده، فقال جل شأنه: ((**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر**)) [القمر/17].

ولذا فإن الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والذكي ومتوسط الذكاء قد استطاعوا حفظ القرآن واستحضار آياته.

ولكننا نواجه مشكلةٌ أحيانًا وهي الرجوع إلى الآيات، والاستشهاد بها، وذلك بسبب قلة تلاوتنا للقرآن أو عدم حفظنا له.

وقد نخطئ في نقل الآية، فنجتزئها من سياقها، أو نحرف لفظها (من غير قصد) وذلك بسبب رداءة الحفظ.

فما الحل؟

صنف محمد فؤاد عبدالباقي رحمه الله كتابه الضخم والعظيم (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) في محاولة منه لفهرسة القرآن الكريم، وتسهيل الوصول إلى الآيات وفقًا لطريقة المعاجم الألفبائية. فلو أردت البحث عن آية قرآنية تشير إلى الصبر مثلاً فإنك ترجع إلى مادة (ص ب ر) وتجده هناك، باشتقاقاته.

ثم تعددت الجهود والأعمال بعد ذلك، ووصلنا إلى عصرٍ تفوقت فيه التقنية بحيث صارت المصاحف جزءًا من جوالاتنا وحواسيبنا، فاستطعنا بذلك أن نبحث سريعًا عن أي آية نريد الاستشهاد بها.

ومع ذلك كله، فإن أحدنا يستهين ببذل قليلٍ من وقته للتأكد من آية لم يحفظها جيدًا، أو التحقق من نص الآية حتى لا يخطئ فيها.

اعتياد البحث في المصحف له فوائد جليلة وعظيمة منها:

1- تثبيت الحفظ وتقويته للحفاظ.

2- اعتياد النظر إلى المصحف والآيات، وهذا يكسر شيئًا من حاجز الغفلة الذي يحول بيننا وبين كتاب الله (1).

3- ضبط ألفاظ القرآن وكلماته، بحيث لا ننسب إلي كلام الله عز وجل ما ليس منه، وإنه ليوجد كثير من الناس في زماننا -للأسف الشديد- ممن يعتقدون -مثلاً- أن مقولة (الأقربون أولى بالمعروف) هي آيةٌ قرآنية أو حديثٌ نبويٌّ شريفٌ، مع أنها لا تصح سندًا، وليست من كتاب الله، وإن كان معناها صحيحًا[1].

4- عدم اجتزاء الآية من سياقها، حيث أن نزع الآية من موضعها، يؤدي إلى تحريف معناها وتشويهه، وهذه من حيل وألاعيب أهل الأهواء الذين يلوون أعناق النصوص لتوافق هواهم.

5- حبذا لو رافق البحث عن الآيات بحثٌ آخر عن معانيها، ومعاني ألفاظها، وذلك في تفاسير العلماء المتنّوعة كـ(الطبري) و(ابن كثير) و(البغوي) و(السعدي) وغيرها.

------

على الهامش:

(1): حاجز الغفلة ينمو ويتسع سمكه، كلما ابتعد العبد عن كتاب الله، ويبلغ هذا الجدار مداه، عندما يهجر الواحد منا القرآن تلاوةً واستماعًا، حتى يصيبه النفور منه.

ومقامات الناس في هذا الشرف متفاوتة. فليس من لا يقرأ القرآن إلا كل جمعة، كمن يحفظه ويستحضر لفظه، ولا كمن يردده آناء الليل وأطراف النهار.

---

1 http://majles.alukah.net/t120536/

**[17]**

# التكلف في الشرح

قلت مرةً: زيادة الشرح تؤدي إلى الشرخ.

أي أن الإفراط والمبالغة في شرح وتوضيح الأفكار والمواقف يفسد جمال عباراتها، ويخفف قوة معناها، وقد يشتت الذهن عنها.

وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله قديمًا: "**فتكلف الدليل على الواضحات يزيدها غموضًا ولا يفيدها وضوحًا**"[1]اهـ.

فلا بأس من الاكتفاء بقدر من الغموض عند التعبير عن الأفكار والمشاعر والمبادئ، على ألا يزيد ذلك عن قدره فيؤدي بالقراء والمستمعين إلى حل ألغازٍ وأحاجي.

[1] (الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد بن محمد بن محمد بن محمد الغزالي، عناية: أنس محمد عدنان الشرفاوي، دار المنهاج، ط1 1437هـ-2016م، ص95).

## [18]

## صراع الظالمين

قال الله تعالى: ((**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا بما كانوا يكسبون**)) [الأنعام/129].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "كما ولينا هؤلاء الخاسرين من الإنس تلك الطائفة التي أغوتهم من الجن ، كذلك نفعل بالظالمين ، نسلط بعضهم على بعض ، ونهلك بعضهم ببعض ، وننتقم من بعضهم ببعض ، جزاء على ظلمهم وبغيهم "[1].

ونحن نراها بالفعل سنة ماضية في الأرض، وأدنى معرفةٍ بالتاريخ وأخباره تكشف ذلك.

انظر لما حدث لبني إسرائيل من الفتن والبلاءات المتلاحقة عبر تاريخهم بسبب ظلمهم وقتلهم للأنبياء.

وانظر لما حدث للممالك والامبراطوريات في التاريخ القديم والحديث.

فانظر لما حدث لنابليون، وما حدث للامبراطورية الروسية، وما حدث لهتلر، وتأمل ما صارت اليابان إليه بعد أن كانت امبراطورية ضخمة وقوية، فابتلاها الله بقنبلتي هيروشيما وناجازاكي.

وهكذا تمر السنين، ويُبتلى كل ظالمٍ بظالمٍ يفوقه ظلمًا وجبروتًا أو يؤجل الله عقوبته إلى الآخرة حيث العقاب العظيم والجحيم المقيم.

وتظل عاقبة الظلم وخيمة وسيئة.

"وما من يدٍ إلا يد الله فوقها *** ولا ظالمٌ إلا سيبلى بظالم"

---

[1] (تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق: سامي محمد السلامة، دار طيبة، ط2 1420هـ-1999م، الجزء الثالث، ص340).

## [19]

# تحدي التبذير والسفه

في الوقت الذي يتحدى فيه أحدهم أصدقاءه ومشاهديه بسكب الماء المثلج على جسده، وتوثيق تلك اللحظة، هناك الملايين من الناس ممن لا يجدون الماء الصالح للشرب، ولا يجدون ماءً نقيًا للاغتسال، أو ماءً للطبخ وصنع العصير، وهناك الآلاف الذين لا يجدون الماء البارد في فصل الصيف، أو الماء الدافئ في فصل الشتاء.

ورغم كل ذلك الهدر الكبير في الماء؛ فمن يهتم؟

المهم، أن ننفذ التحدي، إما لغرض التقليد أو الإعجاب، أو للتبرع لمرضى التصلب الجانبي.

قال تعالى: ((**إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا**)) [الإسراء/27].
وقال جل من قائل: ((**ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم**)) [التكاثر/8].

وقد جاء في الحديث: ((**إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة -يعني العبد- من النعيم أن يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد**)) [رواه الترمذي]. فكيف به وقد أهدر هذا الماء البارد؟

لقد كان تحدي الثلج مثالًا صارخًا على غفلة الناس وانسياقهم خلف الموضات والصيحات بلا تفكر وتعقل. لم يكن إهدار الماء بهذه الصورة مجرد تصرف شاذ توارد الناس على فعله بتأثير الإعلام. ألم نشهد بعده رقصات وسخافات يتنزه العقلاء عنها؟ فمن كان يمارسها غير متابعي الإعلام؟

## [20]

## لقاء مستمر بين حبيبين

كان يلتقيها في كل موضع من مواضع الأرض، باستمرار يصافحها ويحتضنها، وتتشوق هي لذلك اللقاء المتكرر الروتيني، ورغم حركتها البطيئة مقارنةً إلى خطواته السريعة التي يطوي بها الأرض، إلا أنه كان يتشوق أكثر منها لذلك اللقاء.

كان لقاؤهما حميميًا وحارًا وعاطفيًا، رغم تتابعه وتكراره.

ومرت الأيام بينهما، وهما على هذه الحال من التلاقي الذي لا ينقطع.

إلى أن حال بينهما ذلك الحادث الجلل والمصاب العظيم الذي أوقف صاحبنا عن الحركة، وتسمرت بسببه أقدام صاحبتنا عن الانطلاق، وصارت كأنها غارقة في رمال متحركة.

لم يستعدا بما يكفي حتى يودعا بعضهما، ويعلنا لحظة النهاية، فقد انتهى كل شيء بغتةً من حيث لا يشعرون.

لقد جرت أحداث هذه القصة في ساحة ساعة ذات عقربين، أهمل صاحبها تجديد بطارياتها، فتوقفت الساعة عن العمل.

## [21]

# برامج النشر الآلي

هناك برامج متخصصة في كتابة ونشر الآيات والأحاديث آليًا، من غير تدخل صاحب الحساب. وأنا أعارض مبدأ استعمال هذه البرامج.

أعتقد أن مستعمل هذه البرامج كمن يشغل الراديو أو التلفاز على تلاوة قرآنية، وهو ينشغل عنها بعمل آخر غافلاً عنها، غير مستمعٍ لها.

وهذا من الغفلة الواضحة عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

هناك فرقٌ عظيم بين الذي يذكر الله مستحضرًا عظمته وحسن أسمائه وصفاته، وبين آخر يردد الأذكار على لسانه لأنه اعتادها كما يعتاد الحديث مع أصدقائه. فليس ثواب الأول وأجره كالثاني.

وخيرٌ لي أن أنشر الآية القرآنية بنفسي قاصدًا لذلك، بدل أن تقوم بها آلة صماء من غير قصدٍ مني وأنا غافلٌ عنها.

أظن أن نشر الآيات والأحاديث آليًا طريقة فقيرة لاكتساب الحسنات والأجور، ولنا أن نستعيض عنها بوسائل أخرى تفوقها أجرًا. وقد ترسخ هذه الطريقة الغفلة عن ذكر الله في قلوب الناس. فهم يظنون أن مجرد نشر آية أو حديث في حسابهم يعني أنهم ذكروا الله حقًا حتى وإن كانوا منصرفين عنه.

وفضل الله واسع، وعلينا أن نكون أشد سعيًا وأعلى طموحًا.

## [22]

# اللاكتراث الأخلاقي

يشيع كثيرٌ من الناس -المتأثرين بشبهات الملحدين والعلمانيين- روح الاستهانة واللاكتراث بالنقاش حول مسائل الأخلاق والدين، فتجد أحدهم يبتدئ النقاش أو يتوسطه أو ينهيه بهذه العبارات: "ما شأنك بفلان؟ إنه يمارس فعلًا شخصيًا لا يضرك به شيئًا"، "لم تتدخل في حرية فلانة الجنسية/الدينية؟"، "لا ينبغي أن نحكم على الناس"...إلخ والحق أن هذه الأقوال كارثة قائمة بذاتها، لأن من يتلفظ بها لا يهتم بالحقيقة بقدر ما يتهرب منها إلى تصنع اللامبالاة والإعراض الذي لا يلزم غيره.

وهو موقف جبان عابث لاأخلاقي، لأن صاحبه إما عاجزٌ عن معرفة الحق مفتخرٌ بعجزه، أو معرضٌ عنه لخوفه من وجوب التزامه واتباعه. وصاحبه مع ذلك متناقضٌ إذ أنه لا يلتزم نتيجته الضرورية، لأنه إن كان غير مكترث بمحاكمة تصرفات الناس ومعتقداتهم، فليخرس، وليمض في شأنه دون أن يحاكم غيره ممن يخالفه هذا المعتقد.

لكن أصحاب هذا الموقف المتناقض منافقون كاذبون في ادعائهم الحياد، لأنهم ينكرون -في العادة- على طرفٍ واحد يختلفون معه، ويسكتون تمامًا عن الطرف الآخر. هذا إن لم يظاهروه على من يخالفهم.

ثم إن الاستدلال على أن فعلًا إنسانيًا ما غيرُ معرضٍ للمحاكمة الأخلاقية بأن الناس أحرار في ممارسته؛ هو استدلال دائري ومصادرة ظاهرة على المطلوب. إذ أن الحرية نتيجة الإباحة بالمفهوم الشرعي أو كون الفعل مقبولًا أخلاقيًا بالمفهوم الفلسفي. والاستدلال بالنتيجة على المقدمة التي تؤدي إليها هو معكوس باطل للاستدلال الصحيح.

ولا خير في موقف يجمع صاحبه بين العجز والجهل والنفاق.

## [23]

# شيخي إبراهيم البشر

لبعض الناس أثر يتعاظم حجمه في حياتنا، ولكنه قد لا يتضح لكثير من الناس بل نحن أنفسنا قد نغفل عن عِظم هذا الأثر.

فقد تتأثر بأخلاق شخصٍ ما أو أسلوب كلامه أو طريقة تفكيره، ثم يبقى هذا الأثر باقيًا في حياتك. ربما تذكر هذا المؤثر دومًا بالخير، وقد تنساه ولا تنسى أثره الموجود.

سأكتب بإيجاز عن رجل عظيم ذي أثر بالغ في حياتي، بل في حياة غيري أيضًا، ولذلك ما فتئت أصله بالدعاء الحسن في كل حال.

لن يفيه قلمي المتواضع بحقه علي، ولكن وفاءً له وامتنانًا لما قدمه لنا؛ فسأكتب عنه بما أستطيع.

إنه الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز البشر رئيس المحكمة العليا بالرياض. كان يدرس شباب حلقتنا في درس خاص عن شرح عمدة الأحكام للإمام عبدالغني المقدسي وقد ابتدأ درسه منذ 12 سنة في مسجد صغير بحي الواحة، ثم انتقل لحي آخر. وكان الدرس ينعقد كل سبت بعد صلاة المغرب وحتى العشاء.

كان هذا الشيخ بشوشًا طيبًا واسع العلم، لا يمل حديثه ولا درسه، لا أكاد أرى واحدًا من الشباب ساهيًا أو لاهيًا في درسه، وكان رغم مشاغله يحرص على تقديم الدرس. بل ويضيف عليه درسًا آخر للسيرة النبوية بين أذان وإقامة العشاء، وكان من أندر النادر أن يعتذر عن تقديم الدرس.

ولبث مدة طويلة في شرح الكتاب، لأنه لم ينتهج الشرح السريع الوجيز، بل كان شرحه يتضمن استطرادات علمية وقصص من واقع الحياة. وكان أحيانًا يذكر بعض الأخبار السياسية ويعلق عليها متحريًا الحذر الشديد أثناء ذلك.

وكان يتخلل درسه فقرة لطيفة وهي رواية القصص الغريبة. وكان قبل أن يروي واحدة منها يدير المكرفون أو يطفئه ويقول: (حتى لا يسمع الجيران). وكانت هذه الفقرة مثيرة وممتعة في العادة! كنا جميعًا نتشوق إليها، ويشتد تركيزنا عند رؤية بوادرها.

كنت أواظب على حضور درسه لعامين، ولم أبدأ بتدوين ما أتلقاه من علم جليل سوى في آخر عام، وقد أدركت من ذلك قدرًا لا بأس منه. وما زالت بعض وصايا شيخي وحكاياه عالقةً في ذهني.

تكرر علينا مشهد رسخ في الأذهان والقلوب وهو مشهد ذلك الرجل الأربعيني أو الخمسيني الذي كان يأتي معنا في الدرس ويجلس في الصف الأول، ويدون الفوائد ويقيدها. لم يكن منضمًا إلينا معشر الطلاب، ولكنه أثبت وجوده بيننا برغم انعدام كل صلة تجمعنا به سوى درس الشيخ.

وفي يوم من الأيام، قدر الله على الشيخ حادثًا مؤلماً جللًا وهو وفاة والده وجده -رحمهما الله- في نفس اليوم، فذهبنا لعزاء الشيخ، وانقطعت سلسلة دروسه بعد ذلك، لأسباب لا أعرفها.

جزى الله الشيخ إبراهيم البشر عني وعن جميع من درس على يديه خير الجزاء، وأحسن إليه.

## [24]

## الرزق من الله وحده

يدعو ربه في الصباح قائلًا: "اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر".

ثم يحل عليه المساء وهو يمتعض من واقع بلاده فيقول: "هؤلاء (الأجانب) ضيقوا علينا رزقنا"، "ها هم يشاركوننا في لقمة عيشنا"...إلخ.

لسان حالهم: "الرزق من الله والحكومة والشركات والدولة"!

نظرتهم لمن حل بلادهم مختلفًا عنهم ببضعة أوراق ثبوتية، أو لغة وثقافة؛ هي أنه وحش كاسر أتى لينتزع الخبز من أفواههم.

سيقولون بأن أهل البلد أولى من غيرهم، ويحتجون بفعل فلان وعلان، وكأن فعل منغوليا أو جزر سليمان حجة صحيحة بذاتها.

سيقولون بأن الأجانب ينقلون أموال الدولة إلى الخارج، وكأن أموال الأجانب لم تكن كسبًا مشروعًا لهم. وكأن بعض المواطنين لم ينخرطوا يومًا في قضايا غسيل الأموال وتجارة المخدرات والبغاء. فإن كان كثير من الأجانب والمواطنين يشتركون في إحراق مال الدولة، فلم يبالغون في تخطئة أحدهما دون الآخر؟

سيظهرون منتهم على ذلك الأجنبي، ويذكرونه بفضائلهم، وقد يسفلون من شأن بلاده -إن كانت سافلة حقًا- وكأنهم يتحدثون عن لقيط أُخذ من الشارع لا عن رجل ضحى بحر ماله وجهده ليجد واقعًا غريبًا يتجاوزه الناس فيه لا لكفاءتهم ومهارتهم وإنما لعرقهم وجيناتهم.

سيقولون بأن هذا سببٌ في ازدياد عطالتهم، فيقال: إما أن يكون الأجنبي مؤهلًا للعمل أو غير مؤهل. فإن كان غير مؤهل فاستبعاده حق، وإن كان مؤهلًا للعمل واستبعد لأجل إنسان آخر، فإما أن يكون البديل متفوقًا عليه أو مساويًا له أو أدنى منه في الكفاءة. واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير ظلم، واستبدال من يساويه عبث محض. واستبدال من هو أكفأ منه غير

موجود واقعيًا؛ لأن الجنسية هي الفيصل بينهم. وهي ليست كفاءة بنفسها. فثبت بذلك أن هذا النظام باطل وسخيف.

ختامًا: ليست الدولة الحديثة قرآنا منزلًا من السماء، بل هي اجتهاد بشري لها مناقب ومثالب. ولا يسوغ لنا أن نحبس عقولنا بداخلها باعتبارها نموذجًا نهائيًا مثاليًا لا يتطرق الخلل إليه.

## [25]

# الطواف حول الأشخاص

نسمع كثيرًا كلمة "الطواف" فيتبادر إلى أذهاننا معناها الشرعي وهو الطواف حول الكعبة، وهو ركن من أركان العمرة والحج. فهل سمعنا عن الطواف حول الأشخاص؟

الطواف حول الناس هو الدوران في فلك ذواتهم. ويتمثل ذلك في مطاردة أحدنا لأخبار المشاهير، والجدال حولها، لتصير حياته كلها لهثًا وراء الأخبار والوارد والصادر ووراء الفضائح.

وترى تلك النقاشات العقيمة التي تقتل الوقت، وتسطح الفكر (لماذا قال زيد ذلك؟ وما الذي دفع خالد ليفعل فعلته تلك؟ بماذا رد عبيد على كلام زيد؟ ولماذا لم يفعل سعيد ذلك؟). وما أكثر ما تراها في ساحات النت.

انظر لنمط الأسئلة السابقة، وستجد أنها تضيع وقتك وجهدك فيما لا يفيد، وقد تدخلك في الغيبة وغيرها من خطايا اللسان كهمزٍ ولمزٍ وغيرها.

وقد وجدت مواقع عربية كثيرة تغذي هذا الجانب التافه بقوة. فهي تعرض الأخبار السخيفة للناس باعتباها الأخبار المهمة، والمضحك حقًا أن هذه الأخبار هي أكثر الأخبار قراءةً ونشرًا وحصدًا للإعجابات.

من المهم أن تتابع أخبار العالم حتى تدرك الواقع كما هو، ولكن إياك أن تُسيّر حياتك في الأخبار ومتابعتها، فأنت هكذا تنحط من مقام الفعالين في الحياة إلى درك البطالين.

وتذكر -في النهاية- أن ذلك كله ينصب في القيل والقال الذي يكرهه الله[1].

ولا أخفي القارئ سرًا وهو أن من الأسباب التي حملتني على ترك متابعة الأخبار السياسية هي أنها كانت تستنزف جهدي وذهني. وأنا الآن أرى ما مضى من عمري؛ فأراني كنت مسارعًا في التقاط الأخبار وتحليلها وتحليل الوقت معها، وإهدار وقتي في ذلك.

[1] ((**إن الله كره لكم ثلاثًا قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال**)) [رواه البخاري]

والانشغال بأخبار السياسة أحسن من الانشغال بأخبار سخيفة تافهة كأخبار الفن والرياضة والألعاب وغيرها. ولكن ذلك كله مضيعة للوقت إن لم ينضبط.

والمسلم الحق يهتم بنفسه أولًا فيجنبها مصارع السوء ويرتقي بها مراقي الخير، ثم ينشغل بغيره بما يعود عليه من فائدة في الدين والدنيا. ولا يكون هملًا سبهللًا في حياته.

وفي النهاية فإن الأخبار جزء صغير من الحياة ولا ينبغي لها أن تستغرق كل الحياة.
شارك في صنع الأخبار المهمة، بدل أن تكون في وضع الاستقبال دائمًا.

## [26]

## خبر لا يهمك

بالأمس تحركت لتناول العشاء في مطعم (...) فاشتريت بيتزا الفصول الأربعة ذات الحجم الصغير بعشرة ريالات بالإضافة إلى عصير الربيع بريال واحد. إنه خبر لم يكن يعرفه من أصدقائي في فيس بوك أو حتى أقرب الناس إلي (أشقائي)، ومع ذلك فهو خبر لا يهم أحدًا على الإطلاق ونشره بغير حاجة هو من التفاهة.

سيزول استغرابك من نشري لهذا الخبر، إذا أدركت أنك تسمع يوميًا عشرات الأخبار التي لا تهمك. فضيحة فنان مثلًا أو لاعب كرة قدم، زيارة وفد من دولة (ت) لرئيس دولة (ف) ليتناقشوا حول الشؤون والهموم المشتركة، ما المثير في هذا الخبر وأنا لا أعرف ما هي شؤونهم المشتركة؟

وفي الواقع كثير من أخبار المشاهير حول حياتهم الخاصة، تعتبر أخبارًا تافهة عديمة الأهمية، وهي كخبر العشاء الذي تناولته أمس، إن لم تكن دونه في التفاهة.

لكن الفرق بينهما يكمن في أن الإعلام يضع هذه الأخبار في مقدمة الصحف، وفي شريط الأخبار، وبالخط العريض، فتبدو لنا أخبارًا تتسم بالخطورة والجدية.

ترى ما التغيير الكبير الذي أحدثته في العالم عندما دفعت لذلك المطعم 11 ريالًا قد تكون سببًا في زيادة أرباحه لهذا الشهر وقد تكون العكس؟

من ناحية أخرى، فإن فيس بوك وغيره من مواقع التواصل الاجتماعي أُنشئت بغرض نشر الأحداث اليومية والأفكار التي تخطر لك، فلا بأس أن تشارك بعض أخبارك هنا مع الآخرين.

ورغم ضآلة أهمية هذا الخبر، فإن ردود الأفعال حوله ستتباين من اللامبالاة إلى السؤال عن طعم البيتزا وموقع هذا المطعم والدعاء بالعافية.

تيقظ لما تستقبله من أخبار، فلست حاوية لما كان سخيفًا منها.

# [27]

## نعم لديك القدرة

للإنسان طاقة كبيرة جدًا لا يعلم مقدارها إلا الله عزوجل، وهو قادر على توجيهها في أقصى اليمين حيث ينشغل بعبادة الله، ويبنى بها الأرض ويعمرها، أو قادر على أن يوجهها في أقصى اليسار فيهلك الحرث والنسل ويسعى في الأرض الفساد.

سأذكر لكم هذه المعلومة القصيرة والتى تؤكد ما قلته حول عِظم واتساع طاقة الإنسان.

الحافظ ابن عساكر رحمه الله أحد علماء المسلمين المشهورين الذين عاشوا في القرن السادس الهجري، ألف كتابه (تاريخ دمشق) وهو عن مدينة دمشق وتاريخها وفضلها وتراجم أهلها أو من مر بها خلال 5 قرون، وذكر فيه أيضًا طرفًا من السيرة النبوية العطرة وسيرة الخلفاء الراشدين وغير ذلك.

عندما طبع كتاب تاريخ دمشق فإنه قد بلغ 80 مجلدًا مع الفهارس! ومعدل كل مجلد لا يقل عن 200 أو 300 صفحة ولا يزيد عن 500 صفحة.

ولنا أن نتساءل كم مكث ابن عساكر في تأليف هذا الكتاب؟ وكم لبث في مراجعته وتدقيقه؟ وكم قضى من الوقت في استحضار وقراءة المعلومات من المصادر الأخرى؟

ولذلك قال زكى الدين المنذري عنه: "ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه ، وشرع في الجمع من ذلك الوقت ، وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتنبه ."

وعقب عليه ابن خلكان بقوله: "ولقد قال الحق ، ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ، ومتى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع فيه مثله؟ وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره ، وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها"[1].

أسأل الله أن يبارك لنا في أعمارنا وأوقاتنا ويجعلها عامرةً بطاعته وذكره وعمارة أرضه.

---

[1] (وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، المجلد الثالث، ص310).

## [28]

# لماذا يضل الناس؟

من الأسئلة المهمة التي تراودنا أثناء بحثنا عن الحق أو بعد معرفتنا له هو: (لماذا لا يتبع كثيرٌ من الناس الحق؟ ألضعفٍ في الحجة والبرهان؟ أم لخفاء الحق يحجبه عن أعين الناظرين؟).

يقول حسن هويدي رحمه الله في رسالته (الوجود الحق) والتي ألفها ردًا على ملاحدة زمانه، ونقضًا لأوهامهم حول الخالق سبحانه وتعالى:

"قد تعجب بعد ظهور الحق من إعراض كثيرٍ من الناس عنه، وسلوكهم سبيل الباطل، وقد تتساءل -لقوة الحجة وظهور البرهان- لماذا لا يؤمن الناس جميعًا؟ فما هي العوامل التي تحول دون الإيمان، وتصرف الناس دون الحق؟"[1].

ثم يلخص هذه العوامل في أربعة عوامل وهي: "الجهل، والهوى، والكبر، والخوف"[2].

ولنا أن نزيد على هذه العوامل عامل الجاه والثروة الناشئة عن اعتقاد الباطل، وفي ذلك يقول عبدالرحمن المعلمي رحمه الله: "أن يكون قد صار له في الباطل جاه وشهرة ومعيشة، فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل فتذهب تلك الفوائد"[3].

ومنه تفهم سبب إعراض هرقل عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم مع إقراره بنبوته[4].

---

[1] (الوجود الحق، حسن هويدي، المكتب الإسلامي، ط5 1416هـ-1996م، ص126).

[2] (الوجود الحق، حسن هويدي، المكتب الإسلامي، ط5 1416هـ-1996م، ص138).

[3] (القائد إلى تصحيح العقائد، عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، ط3 1404هـ-1984م، ص13).

[4] "وللطبراني من طريق ضعيف عن عبد الله بن شداد عن دحية في هذه القصة مختصرا ، فقال قيصر : أعرف أنه كذلك ، ولكن لا أستطيع أن أفعل ، إن فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم . وفي مرسل ابن إسحق عن بعض أهل العلم أن هرقل قال : ويحك ، والله إني لأعلم أنه نبي مرسل ، ولكني أخاف الروم على نفسي ، ولولا ذلك لاتبعته . لكن لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب الذي أرسل إليه ((أسلم تسلم)) وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة لسلم لو أسلم من كل ما يخافه . ولكن التوفيق بيد الله تعالى"
(فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسمٰعيل البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، أخرجه وأشرف على طباعته: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، الجزء الأول، ص37).

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله قصة طريفة عن مناظرته لبعض النصارى، فقال: "وقد ناظرنا -نحن وغيرنا- جماعة منهم، فلما تبين لبعضهم فساد ما هم عليه قالوا: لو دخلنا في الإسلام لكنا من أقل المسلمين لا يؤبه لنا، ونحن متحكمون في أهل ملتنا؛ في أموالهم ومناصبهم، ولنا بينهم أعظم الجاه! وهل منع فرعون وقومه من اتباع موسى إلا ذلك؟!."[1]

وأشار كذلك إلى أن الحسد من الأسباب التي تمنع قبول الحق فقال: "ومن أعظم هذه الأسباب: الحسد؛ فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه. وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه، غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة."[2]

والتعصب أيضًا حاجب للنفس عن إدراك الحق، والتمسك بالمعتقدات على وفق العادات لا على مجرى البراهين الصادقة، وفي ذلك يقول أبو حامد الغزالي رحمه الله: "وربما لا تذعن جميع الأذهان لقبول الحق المؤيد بالبرهان لشدة ما يرسخ فيها من المعتقدات المألوفة التي وقع النشوء عليها والتحق بحكم استمرار الاعتياد بالأخلاق الغريزية التي يتعذر إزالتها"[3]

والكلام في هذا يطول، وفي الاختصار غنيةٌ لذي العقول

[1] (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، ط1 1429هـ، ص39).
[2] (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية، دار عالم الفوائد، ط1 1429هـ، ص40).
[3] (فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبدالرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، ص151).

## [29]

## تعلم أن تقول: لا

من يسعى لإرضاء الناس بتلبية جميع مطالبهم مهما تعارضت مع مصالحه وأولوياته لا يكون جديرًا باحترامهم وتقديرهم. بل هو في نظرهم مطية لمصالحهم الخاصة وحسب.

لذلك يقال لهؤلاء أن يتعلموا قول كلمة (لا) وأن يوجهوها لمن يريد استغلال مواردهم من مال، ووقت، وجهد والوقت فيما لا يفيد ولا يجدي.

وقد تجد أن فارغًا لا شغل له يأتيك ليتحدث معك أو يطلب منك الخروج في نزهة معه. في حين أنك غارق في أشغال كثيرة هامة، ولا متسع من الوقت لقضائه مع فارغٍ كهذا. يجب عليك -حينها- أن تقول لا وتجهر بها في وجهه وفي وجه كل من يريد سرقة وقتك، وجهدك، ومالك. فخروجك معه يفسد بقية مخططاتك، ويجعلها متعذرة الضبط.

ومما قرأته قديمًا عن الإمام ابن الجوزي[1]: أنه كان يأتيه بعض البطالين والفارغين، فيستغل وقت مجيئهم بتجهيز الدفاتر وبري الأقلام لأن مجيئهم لا فائدة منه، واستغلال الوقت بتجهيز الأدوات أفضل.

وقد قفت على كتاب غربي مترجم عنوانه: (كيف تقول لا)، ثم وجدت لاحقًا نصاً أدبيًا قصيرًا طريفًا له علاقة بالموضوع وقد يكون فيه شيء من المبالغة.

جاء عن الكندي "وكان يقول: قول لا يدفع البلا، وقول نَعَم يُزيل النِعَم"[2] اهـ.

[1] "أعوذ بالله من صحبة البطالين! لقد رأيت خلقًا كثيرًا يجرون معي فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة، ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس، ويجرون فيه أحاديث الناس، وما لا يعني، وما يتخلله غيبة!
وهذا شيء يفعله في زماننا كثير من الناس، وربما طلبه المزور، وتشوق إليه، واستوحش من الوحدة، وخصوصًا في أيام التهاني والأعياد، فتراهم يمشي بعضهم إلى بعض، ولا يقتصرون على الهناء والسلام، بل يمزجون ذلك بما ذكرته من تضييع الزمان.
فلما رأيت أن الزمان أشرف شيء، والواجب انتهابه بفعل الخير، كرهت ذلك، وبقيت معهم بين أمرين: إن أنكرت عليهم، وقعت وحشة، لموضع قطع المألوف! وإن تقبلته منهم، ضاع الزمان! فصرت أدافع اللقاء جهدي: فإذا غلبت، قصرت في الكلام، لأتعجل الفراق.
ثم أعددت أعمالًا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغًا، فجعلت من المستعد للقائهم: قطع الكاغد، وبري الأقلام، وحزم الدفاتر، فإن هذه الأشياء لا بد منها، ولا تحتاج إلى فكر، وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم، لئلا يضيع شيء من وقتي. نسأل الله عز وجل أن يعرفنا شرف أوقات العمر، وأن يوفقنا لاغتنامه."
(صيد الخاطر، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، اعتناء: حسن السماحي سويدان، دار القلم، ط3 1433هـ-2013م، ص240-241).

[2] (تحسين القبيح وتقبيح الحسن، عبدالملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: شاكور العاشور، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية (الجمهورية العراقية)، ط1 1401هـ-1981م، ص53).

## [30]

## الجانب القبيح من طائر الحمام

يقول الجاحظ رحمه الله: "(قسوة الحمام) قال: وباب آخر من لؤمه: القسوة، وهي ألأم اللؤم؛ وذلك أن الذكر ربما كان في البيت طائر ذكر قد اشتد ضعفه، فينقر رأسه والآخر مستحذ له، قد أمكنه من رأسه خاضعاً له، شديد الاستسلام لأمره، فلا هو يرحمه لضعفه وعجزه، ولا هو يرحمه لخضوعه، ولا هو يمل وليس له عنده وِتر. ثم ينقر يافوخه حتى ينقب عنه، ثم لا يزال ينقر ذلك المكان بعد النقب حتى يخرج دماغه فيموت بين يديه. فلو كان مما يأكل اللحم واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً؛ إذ لم يعد ما طبع الله عليه سباع الطير."[1] اهـ.

[1] (الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الجزء الثالث، ص255).

## [31]

# متلازمة (ليس لدي وقت)

"ليس لدي وقت"

إنها من أقوى الموانع التي صدت الناس عن فعل الخير وإن كان قليلًا.

ما أن تعرضْ لأحدهم مشروعًا خيريًا يتطلب المال، إلا ويتذكر أولوياته المالية وخطته التي لم يضعها من قبل. ثم يمتنع عن إعطاء القليل بحجة أنه يجب أن يدفع الكثير، ويمتنع عن الكثير بحجة أنه لا يملك الكثير ليدفعه. فيكون محرومًا في الحالين.

هناك فرق بين من يقول: (ليس لدي وقت) بسبب انشغاله الدائم الذي لا ينقطع مع محاولته الدائمة للجمع بين فضائل الأعمال بقدر الوسع والطاقة، وبين آخر يقولها لأن اللغو والباطل شغلا حياتها إلى أن ظن أنها متخمة لا تسع خيرًا وإن قل. وربما وجد أن دقيقة الخير أثقل عليه من ساعة اللغو والباطل.

متلازمة (ليس لدي وقت) هي من آثار التحلل من المسؤوليات والمهام الكبار. وهي علامة على خسة الهمة، وضعف الإرادة، وانفساخ العزيمة.

قد نمارس هذا التحلل أحيانًا بزعم أننا نعمل على وفق ظروفنا المحدودة. لكن الحقيقة أننا نبحث عن معاذير نتحلل بها من كل مسؤولية والتزام. زد على ذلك أن الاطراد في هذا المنهج خطر لأنه يزرع وهمًا كاذبًا في أنفسنا وهو أننا أقل بكثير من أقراننا الذين يحملون عظام المهام ويتحملونها بينما نحملُ ما تضاءل منها وكان حقيرًا تافهًا. وعندما يسبقنا جميع أقراننا أو أغلبهم، فسندرك حينها أننا امتلكنا الوقت الكافي للنجاح، ولكننا خسرناه وخسرنا كل شيء آخر.

في المرة القادمة وقبل أن تقول: ليس لدي وقت أو ليس لدي مال، اسأل نفسك: هل يمكنني إدارة وقتي ومالي بحيث أستوعب ما يثقل علي من جهد ومال؟

## [32]

## نحن والانجليزية: الانغماس في اللغة

اعتياد الإنسان رؤية شيءٍ ما وسماعه، تزيد من قدرته على التفاعل معه، والاستفادة منه.

ولأجل ذلك، فإن من المهم أن ننبه على أنه يجب على من أراد تعلم لغةً جديدة، أن يُكيِّف بيئته لتوافق مطلوبه، فتكون بيئته خِصبةً لتعلّم اللغة والاستفادة منها.

عندما نتعلم اللغة الانجليزية أو الفرنسية، فإننا لا نكتفي بتعلم قوانين مجرّدة يخزنها العقل، بل إننا بحاجة لتفعيل كل المعلومات اللغوية بأي وسيلة مسموعة أو مرئية أو مكتوبة من وسائل التواصل.

وكما يقول بعضهم: "اللغة كائنٌ حي"، فإنها تحيا وتمرض وتموت، وتتغير بتغير المتحدثين وثقافتهم وزمانهم وعلومهم أيضًا.

عودًا على الموضوع، فإن من أهم وسائل تكييف البيئة مع اللغة الجديدة هي توظيف اللغة في الواقع، وذلك لحفظها واستيعابها جيدًا، لكيلا تظل مجرد معرفة نظرية لا صلة لها بالواقع.

فليس من المعقول وأنت تترقى وتنتقل في سِلّم اللغة الانجليزية أو غيرها أن تستخدم جوالك بلغتك الأصلية (العربية)، وأنت تستطيع أن تقرأ وتفهم باللغة الأخرى، بل إن ذلك قد يكون ضروريًا لاعتياد الألفاظ وفهمها جيدًا، ووضعها في مكانها المناسب.

إذا دخلت موقعًا من مواقع الانترنت، فحاول أن تستخدم النسخة الانجليزية، وإذا لم تفهم كلمةً من المكتوب فحاول أن تتأمّل السياق جيدًا، فإن أعجزك ذلك فانتقل للمعاجم والقواميس التي أشرت إليها في المقال السابق، والجأ للترجمة كحل أخير.

إذا أردت البحث عن موضوع اجتماعي أو تقني أو خبر سياسي فابحث عنه بالانجليزية أيضًا حتى تتعلم أكثر.

ربما يعلم الكثير منكم أن في الموسوعة العالمية (ويكيبيديا) قسمًا كاملًا للغة الانجليزية البسيطة والتي يفهمها المبتدئون يسمّونه (Simple English) ويحتوي على ما يقارب 117133 مقالًا[1]، وهي كما قلنا بسيطةٌ وسلهة في مفرداتها وتركيبها.

وهناك موقع آخر أقترحه للقراءة، وهو (Wikihow) موقع مميز ومليء بالمقالات في التقنية والعلاقات الاجتماعية وشؤون الحياة المختلفة، وقد استفدت منه كثيرًا.

http://www.wikihow.com/Main-Page

معلومة هامشية wiki: تعني الصفحة الالكترونية التي يتاح فيها للمستخدمين والزوار (أحيانًا) إضافة المعلومات وتعديلها.

كلمة encyclopedia تعني الموسوعة، فمن ذلك تعرف أن كلمة Wikipediaهي كلمة مركبة تعني الموسوعة المفتوحة.

أخيرًا: قد يرد اعتراض في آخر المقال، وهو عن الاعتزاز باللغة العربية وفضلها، وأن من إظهار الهوية العربية أن تبرز وتنتشر في كل مكان، وهذا صحيح، ولكننا نتحدث عن زمانٍ ضعفت فيه اللغة العربية بما كسبت أيدينا، ونحن نرى كيف أن اللغة الانجليزية وجدت من يخدمها وينشرها بالقوة الفكرية والعلمية، حتى أصبحت حاجة ملحة كما قدّمنا من قبل. ومسألة الاعتزاز باللغة العربية -والهوية الإسلامية عمومًا- أوسع من أن يكون جوالك باللغة العربية، وهي تستحق المزيد من التفصيل والحديث مما لا يتسع له المقام هنا.

والحمد لله أولاً وآخرًا.

اللهم علّمنا بما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا، واجعله حجةً لنا لا علينا.

[1] كتبت هذه المقالة قبل ما يربو عن أربعة أعوام، وقد بلغ عدد المقالات الآن (2018/10/14م) 139366 مقالاً.

## [33]

# تدليس أم عجز؟

كنت أطالع كتاب (Understanding Islam Through Hadis) لمؤلفه (Ram Swarup) وهو كاتب كافر قرر دراسة الإسلام عبر الترجمة الإنجليزية لصحيح مسلم وصحيح البخاري ومشكاة المصابيح وغيرهما من الكتب.

وبعيدًا عن محتوى الكتاب، فقد وجدت -أثناء قراءتي لما خطه الكاتب عن الإيمان- أنه قد نقل نصًا أثار استغرابي وهو للإمام الغزالي من كتابه (نصيحة الملوك)، ومضمون هذا النص أن الله عاقب النساء بثماني عشرة عقوبة. رجعت للنسخة العربية الموجودة في النت من كتاب (التبر المسبوك في نصيحة الملوك) للإمام أبي حامد الغزالي، فلم أجد ما نقله المؤلف عن الغزالي، فزاد استغرابي وتضاعفت حيرتي، فقررت الرجوع للنسخة الانجليزية المترجمة من الكتاب، والمطبوعة بإشراف جامعة أكسفورد.

رجعت إلى نفس الصفحة، فوجدت النص كما نقله المؤلف، وقد بحثت آنذاك عن نسخ عربية أخرى غير نسخة دار الكتب العلمية الموجودة في النت.

ولحسن الحظ فقد وجدت مخطوطة من الكتاب في مكتبة المصطفى الالكترونية، وكانت المفاجأة!

فقد وجدت النص العربي "يُقال أن حواء عليها الصلاة والسلام لمّا عصت زوجها في الجنة عاقب الله النساء بثمانية عشر عقوبة الحيض والولادة...".

وبعد هذا النص فصلٌ كامل عن (ذكر سير النساء وعاداتهن).

هذا النص والفصل غير موجودين مطلقًا في نسخة (دار الكتب العلمية).

والكتاب ثابت النسبة للغزالي بلا شك، وهو مترجمٌ عن الفارسية.

فهل فاتت هذه الفقرة على المحقق ولم تفت على الغربيين، أم أنه حذفها مع وجودها صراحةً في مخطوطة عربية للكتاب؟

لم تستغرق عملية البحث والاستنتاج مني سوى ساعةٍ أو أقل، ولكنها كانت كفيلةً بكشف شيء لم أجد من بادر لكشفه.

ليس محتوى النص مهمًا هنا، ولكن لماذا سقط من النسخة العربية؟

هل كان تدليسًا من المحقق أم كان عجزًا منه عن إيجاد هذه المخطوطة؟

وحتى لا يكون كلامي مجرد دعوى خاليةٍ من الدليل فقد أرفقت صورة للمخطوطة والنسخة الانجليزية، وكذلك رابطًا للنسخة العربية.

رابط النسخة العربية:

http://ia700409.us.archive.org/3/items/waq71414/71414.pdf

رابط المخطوطة:

https://almostafa.info/data/arabic/depot3/gap.php?file=m000177.pdf

164 *Counsel for Kings*

belongs half to her husband; (iii) the wife who belongs one-third to her husband; (iv) the wife who is her husband's enemy. The wife who belongs wholly to her husband will be a woman who is a virgin. The wife who belongs half to her husband will be [a woman whose former husband has died but has no children].[1] The wife who belongs one-third to her husband will be a woman whose former husband has died but who has children by the first husband. The wife who is her husband's enemy will be a (divorced) woman whose former husband is still living. Therefore the best wives are virgins.

As for the distinctive characteristics with which God on High has punished women, (the matter is as follows).

When Eve (disobeyed Almighty God and) ate fruit which He had forbidden to her from the tree in Paradise,[2] the Lord, be He praised, punished women with eighteen things: (i) menstruation;

صورة النسخة الانجليزية



صورة المخطوطة العربية

## [34]

## التواصي بالنصيحة

قال الله تعالى: ((**والعصر*إن الإنسان لفي خسر*إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**)) [العصر/1-3].

فمن صفات أهل الإيمان الناجين من الخسران، التواصي والتناصح بالحق والخير.

إذ أنهم يتقبلون النصيحة بصدرٍ رحب، ويبلغونها بأسلوب محترم ولبق.

بادر صديقك وأخاك بالنصيحة الخالصة -من أغراض النفس وأهوائها- في شؤون الدين والدنيا. عسى أن تنتفع منه عندما يبادلك بنصحٍ مقابل.

أما النفور من النصيحة والامتعاض وتغير الوجه بسببها، فهو من صفات القوم الهالكين -والعياذ بالله-.

قال الله تعالى حاكيًا عن نبيه صالح عليه السلام: ((**فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكنكم لا تحبون الناصحين**)) [الأعراف/79].

مبدأ النصيحة مهم وضروري في حياتنا، وشيوعه في مجتمعاتنا علامة على كمال عقولنا، وحسن أخلاقنا.

**[35]**

## إنما الدنيا لمن يفنى

الحياة الدنيا فانية، واللذات والشهوات جزءٌ منها، إذن فاللذات والشهوات فانية.
هذه حقيقة نؤمن بها جميعًا مسلمين وعقلاء، ولكننا كثيرًا ما نؤمن بها بغير اطراد مع نتائجها.

فتجد أننا نختزل معنى اللذات والشهوات في المال والجنس والأنانية، ولكن يغيب عن ذهننا أن كثيرًا من المباحات التي نتلذذ بها هي من جنس اللذات الفانية والزائلة.

الحب والصداقة واللعب ومتابعة المسلسلات وكرة القدم، والانترنت، ومحادثة الأصدقاء، وغيرها كلها لذات نستمتع بممارستها والحصول عليها.

ومتى اعتدنا كل تلك اللذات وواظبنا على ممارستها، فإن لذتها ستتلاشى وتضمحل، ولن تكون -طبعًا- كأول مرة مارسنا فيها هذه اللذة.

إنها كالعلكة التي تمضعها وتستشعر لذتها ومذاقها، فتواصل لوكها بلسانك، واجترارها بأسنانك، وتفقد هذه اللذة شيئًا فشيئًا. ثم تلفظها بعد زوال تلك اللذة.

وتجد أنك تستمع الأغنية أو الأنشودة لمرة واحدة فيغمرك الطرب والسعادة، ثم تكررها كثيرًا حتى تعافها وتملها.

من هنا جاءت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تذم الحرص على الدنيا ولذاتها، والتي تذكر -أيضًا- بحقيقة هذه الدار الفانية.

فقد قال الله: ((**كل من عليها فان**)) [الرحمن/26]، وقال تعالى: ((**كل شيءٌ هالكٌ إلا وجهه**)) [القصص/88]، وقال جل من قائل: ((**وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ وللدار الآخرة خيرٌ للذين يتقون أفلا تعقلون**)) [الأنعام/32]، وقال سبحانه: ((**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**)) [آل عمران/185].

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم لابن عمر: ((**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**)) [البخاري]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**)) [متفق عليه]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((**ما لي وللدنيا! ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظل تحت شجرةٍ، ثم راح وتركها**)) [الترمذي].

وفطن لذلك أحد الشعراء (أبو إسحاق الألبيري) فأوصى بها أخاه قائلاً:

"ولم تُخلق لتعمرها ولكن *** لتعبرها فجِد لما خلقتا"[1]

على أن جماع الخير كله هو الأخذ من الدنيا على قدر الحاجة، وما يوصل منها إلى الآخرة.

وعند الله ثواب الدنيا والآخرة، وهو الواسع الجواد الذي يعطي الناس منهما.

فقد قال الله تعالى: ((**ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها**)) [آل عمران/145]، وقال: ((**من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة**)) [النساء/134] وقال: ((**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون**)) [هود/15] ، وقال: ((**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا*ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيهم مشكورًا*كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورًا**)) [الإسراء/18-19]. وقال جل في علاه: ((**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**)) [الشورى/20]. ومن هنا قال الله سبحانه وتعالى: ((**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**)) [البقرة/201].

وهذا الدعاء العظيم هو من جوامع الدعاء، وذلك لتضمنه خيري الدنيا والآخرة، والنجاة من النار. وذلك هو الفوز العظيم كما قال سبحانه: ((**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**)) [آل عمران/185]. فأعقل

[1] (ديوان أبي إسحاق الأبيري، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر - دار الفكر، ط1 1411هـ-1991م، ص29).

الناس من يستبدل الفاني بالباقي، ويعلمُ أن حياته المادية المليئة بالمنغصات والنقائص لن تستوعب جميع أحلامه وطموحاته ونجاحاته.

وخلاصة القول والمقال، أن الدنيا مثل شربة قوم طالوت، الذين ابتلاهم الله بالنهر وهم في عطشٍ شديد، فمن اغترف غرفةً قليلة فقد فاز ونجح في الابتلاء، ومن انهمك وتهافت على الشرب من النهر فقد خسر وفشل في الابتلاء. وقد وصف الله الصابرين على بلاء النهر بقوله: ((**قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئةٍ قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**)) [البقرة/249].

جعلنا الله وإياكم من عباده المتقين الفائزين بخيري الدنيا والآخرة.

## [36]

## قفص الوطنية

هل رأيتم سجينًا يحتفل بذكرى دخوله للسجن؟ هل وجدتم طائرًا يفرح ويطرب داخل القفص أكثر منه في الخارج؟

أتساءل لم نجدد الاحتفال بذكرى حبسنا في أقفاص صنعها أعداؤنا لنا، وسموها (أوطانًا) فلم تزدنا إلا تفرقًا وتمزقًا وتشتتًا؟

مضت أكثر من 90 سنة على سقوط الخلافة الإسلامية، وأنا أتساءل هل وُجِدت بعدها دولة إسلامية يفتخر المسلم فيها بأنها دولته، ويحترمها الجميع من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب؟

إن فكر (القومية) و(الوطنية) لم يزدنا إلا جهالةً وتخلفًا، ذلك وأنه يعقد الولاء على أساس روابط جاهلية مادية، لا تختلف كثيرًا عن رابطة القبيلة والأسرة التي تعصب لها أهل الجاهلية، وجعلوها فوق كل شيء حتى فوق الحق نفسه.

قال الله سبحانه وتعالى: ((**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**)) [الحجرات/13] فجعل معيار الكرامة والصلاح هو التقوى وليس النسب أو اللون.

وقد جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: "إن الأرض لا تقدّس أحدًا وإنما يقدس الإنسان عمله" [موطأ مالك]. ورغم أن رسالة الإسلام كانت عالمية تتجاوز حدود الجغرافيا، فإننا حاولنا تهميش هذه الرسالة بحصرها في حدود وهمية مثل (العالم العربي) و(الشرق الأوسط).

أجد أن من الأدب الرفيع الإسلامي الذي حوربت به القومية والوطنية إبان بروزها، أشعار محمد إقبال رحمه الله في ديوانه (الأسرار والرموز) وننقل هنا بعضها.

"إننا من قيد أوطانٍ براء *** نحن من عينين نورٌ لا مراء"[1]

"لا تحد الأرض قلب المسلمِ *** لا يُرى في تيه أنّى وكمِ

[1] (الأسرار والرموز، محمد إقبال، ترجمة: عبدالوهاب عزام، مؤسسة هنداوي، ص31).

ليس للمسلم في الأرض عطن *** حائرٌ في قلبه كل وطن"[1]

"نحن في الإسلام أبناء الخليل *** من (أبيكم) خذ إذا شئت الدليل

أممٌ قد عبدت أوطانها *** وبنت من نسبٍ بنيانها

أترى الأوطان أصل الأممِ *** تُعبد الأرض بها كالصنمِ

إنما الأنساب فخر السفهاء *** حكمها في الجسم والجسم هباء

ضمّنا في الحق أسٌ آخر *** وهو في الألباب منّا مضمرُ

قد خلصنا من حدود وقيود *** قلبنا في الغيب إذ نحن شهود"

إلى أن قال:

"نحن فكرٌ وخيالٌ واحدٌ *** ورجاءٌ ومآلٌ واحدُ

نحن من نعمائه حلف إخاء *** قلبنا والروح واللفظ سواء"[2]

"قطعوا الأرحام بين الإخوةِ *** صيروا الأوطان أس الأمةِ

قدسوا الأوطان إعجابًا بها *** قسموا الإنسان أسرابًا بها

طلبوا الجنة في ((بئس القرار)) *** ((فأحلوا قومهم دار البوار))"[3]

وفي الأدب الإسلامي المعاصر كثير من هذه الصور والمعاني التي تشير إلى وحدة المسلمين وإخائهم.

---

[1] (الأسرار والرموز، محمد إقبال، ترجمة: عبدالوهاب عزام، مؤسسة هنداوي، ص86).
[2] (الأسرار والرموز، محمد إقبال، ترجمة: عبدالوهاب عزام، مؤسسة هنداوي، ص79).
[3] (الأسرار والرموز، محمد إقبال، ترجمة: عبدالوهاب عزام، مؤسسة هنداوي، ص87).

## [37]

## كيف نجذب الملل إلى حياتنا؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه الدائمين على نبيه محمد بن عبدالله وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن الشعور بالملل والسأم طريقٌ يجر نحو الهموم القاتلة، والتي تمرض النفس والفكر معًا، فإن مرض النفس لا تشفيه حقنة أو قرص دواء، وهو -لشدة توغله فيها- يسلبها النوم، ويصدها عن اتخاذ القرار المناسب والتفكير فيه، وقد يجوعها ويزيل شهيتها للأكل والشراب.

والملل تجربة ينفعل الناس بها رغغم غياب تفاصيلها عن أذهانهم، وترى أنها لا تختص بزمان معين إذ أن الشكاوى تكثر من الملل مع قرب الإجازات، وأثناء الدوامات، وفي كل الأوقات.

وقد أحببت أن أكتب في هذه الخاطرة بعض الأسباب التي توقعنا في الملل، وتغرقنا في أعماقه. وقد استقريت هذه الأسباب من تجربة شخصية، ومن عشرات التجارب للآخرين.

والحق أن كثيرًا من الناس يتجهون نحو الملل سواء أرادوا ذلك أم لم يريدوه، وهم إما يعلمون أنهم سيصلون إلى الملل بتصرفاتهم، أو يجهلون أنهم يسيرون في الطريق نحو المجهول، كسفينةٍ تخبط عشواء في البحار لا تدري أين تلقي بها الأمواج.

إن كنت ممن يريد -فعلًا- أن يجرب الملل ويتعمق فيه، فأتمنى أن تقرأ هذه المقالة، وتشاركني برأيك فيها أيضًا إن كنت من أصحاب التجربة والخبرة في الشعور بالملل والسأم.

وأرجو أن تركز ناظريك على كل خطوة أذكرها لك، فإن الخطوات نحو الشعور بالملل ليست كثيرة، وبعضها ممتع ومسلٍ. فلا تستثقل طول الطريق أو تتذمر منه، فإنما هي مسافة قصيرة إلى أن تبلغ الملل والسآمة.

والآن هلموا لنرى ما هي الخطوات المؤدية نحو الملل؟

1- لا تغير عاداتك القديمة ومارسها باستمرار، عاداتك التي تصنعها بيدك هي من إبداع عظيم يستحق أن تحتفي به كل يوم، وأن يكون جزءًا من برنامجك اليومي. كيف لا؟! وأنت قد قضيت وقتاً ليس بالسهل حتى تعتاد هذه العادات وتروض نفسك على قبولها.

أنصحك أن لا تبتكر أي عادات جديدة تخل بذلك النظام المطرد. ابق على نفس عاداتك القديمة حتى ولو كانت سيئة، فليس بالإمكان أحسن مما كان. وإن الوقت الطويل الذي ستقضيه أثناء ابتكار وخلق عادة جديدة، لهو أجدر بأن تبذله في تعميق وغرس عادتك القديمة باستمرار.

هذه هي الخطوة الأولى من خطوات الوصول إلى الملل، قد تبدو صعبةً في البداية، لكنك ستسهين بها قريبًا مع كثرة التكرار، وستجد أنها أهون من شرب الماء.

2- لا تطور مهاراتك، مارس أي عملٍ كما تتصوره ولا تحاول أن تطوره أو تغيره للأفضل، فالبقاء (مثلاً) داخل القرية الصغيرة التي اعتدتها وحفظت شوارعها وجدرانها، خيرٌ من شق الطريق والمضي نحو مدينة جديدة سواءً كان ذلك لسياحةٍ أم لعلمٍ أم للعلاج.

مثال آخر: أنت قد اعتدت على تسلية النفس بولوج الانترنت فما هو إلا وسيلة ترفيه، ولم يكن يومًا سبيلًا للوصول إلى المعلومات. ألست من مستخدمي اليوتيوب (YouTube)؟ إنه موقعٌ يضم ملايين مقاطع الفيديو، لكنك ستظل تستعمله لمقاطع التسلية والكرة، والمسلسلات. ولن تبحث فيه عن مقطع مهم يفيدك في تخصصك العلمي، أو يمنحك معلومة جديدة لم تكن لتدركها من قبل، أو يعلمك مهارة في الحاسب.

وهكذا في أي شأن من شؤون الحياة، لا تتطور أو تتغير، ابق كما أنت تجرب الأمر على ما هو عليه، وتخشى من عواقب المغامرة.

3- لا تخطط أو تجدول وقتك، فوقتك واسعٌ جدًا، ويمكنك بذل عشرات النشاطات فيه. فلم تقيده وتجعله محصوراً بين أعمدة وصفوف؟ هل

تتصور الوقت سيلًا متدفقًا يجب ضبطه والتحكم به لئلا يخرب البلاد ويقتل العباد؟ لا قطعًا، بل تتصوره حيوانًا بريًا تقتل إبداعه بحبسه في الأقفاص، ولو فتحت له الأرض، وألقيته في ذلك الأفق الفسيح فإنه يبدع ويعمل وينشط.

4- لا تقرأ، فإنما القراءة للمناهج الدراسية وحسب، وما سوى ذلك فهو عديم الجدوى والأهمية. نعم، فأنت تستسيغ قضاء وقتك في قراءة رسائل الواتساب الطويلة والتي تنشر الشائعات (الأخبار المغلوطة)، والمنكرات (السب والشتم والغيبة وغيرها)، والمغالطات (المعلومات الكاذبة)، وتقطع ما بقي من وقتك في قراءة أخبار اللاعبين والفنّانين وغيرهم. ولكن يجب عليك أن تتقهقر عن قراءة كل ما ينفعك أو يزيد علمك.

أما القرآن، فلن تقرأه سوى بين الجمعة والجمعة، تفتح المصحف لتقفز فورًا إلى سورة الكهف، وتكرها كرًا وتهذها هذًا كالشعر، وتتلوها من غير تدبر. ثم تختم في رمضان تلك الختمة السنوية الوحيدة. ولن تستطيع هكذا أن تصبر نفسك على وردٍ يومي من قراءة القرآن لأنك مشغولٌ جدًا، وتكاد أن تختنق من زحمة الأشغال وتدفقها.

5- أدمن وسائل التواصل الاجتماعي، فعالم التواصل الاجتماعي جميلٌ جدًا، وهو شبيهٌ بالأحلام التي نعيشها ولا تنتهي إلى حد معين. ألسنا نتواصل في عالم التواصل الاجتماعي مع من نشاء، حتى ولو فرّقتنا المسافات وكان السن حاجزًا بيننا؟

هذه الخطوة الخامسة من خطوات الوصول إلى الملل، وهي من أهم الخطوات وأعظمها خطرًا، وذلك لأنها تقربك إلى الملل بدرجةٍ كبيرة لم تكن عند الأوائل، فهي وسيلة حديثة مميزة، يجب أن تستثمرها جيدًا في رحلة الوصول إلى الملل.

اغرق حتى النخاع في التواصل الاجتماعي، وتمثل بالأخطبوط ذي الأذرعة الممتدة في كل مكان. وفي كل قُطرٍ، ترى وجودك الحقيقي في ساحات الانترنت، الوهمي في واقع الحياة.

وكلما زادت ساعات ولوجك في مواقع التواصل الاجتماعي، اقتربت أكثر من الوصول إلى الملل وتحقيق أعلى الدرجات في السأم والكآبة.

لا تخف، ستجد الكثير من البطّالين والعاطلين ممن ينتظرونك على قارعة رصيف النت. ستجد العشرات بل المئات، من التائهين، اقترن مع أحدهم، ووسع علاقاتك مع الآخرين.

6- أجّل مهامّك وواجباتك. خدعوك فقالوا: "لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد"، فلم النهي عن تأجيل أعمالنا ما دمنا قادرين على تنفيذها لاحقًا؟ لم يجب على الطالب أن يذاكر الآن لاختبار الغد ما دام يستطيع السهر لاحقًا للمذاكرة؟ وعلامَ نشغل اللحظة القريبة بالسعي للحظة البعيدة؟ كرّس نفسك ونظمها على أساس أن تراكم الواجبات لاحقًا، فأنت تمتلك قدرة هائلة وكبيرة على تنفيذ أكبر قدر من الواجبات في مدة وجيزة من الزمان؛ عوضًا عن تنفيذها في وقتها. وإن لاح في خيالك ووهمك تأجيل واجبك حتى الوقت بدل الضائع فهو خير ونور على نور.

لن تستطيع لجم نفسك في هذه الدقائق القليلة عن تصفح النت، أو ممارسة هوايتك، فالأفضل أن تنتهي وتلتهي بهوايتك، ثم تبدأ بعدها بعملك. ولا بأس بذلك حتى ولو كانت البداية متأخرةً قليلًا.

هذه الخطوة السادسة هي ذات شأن عظيم في الوصول السريع نحو الملل، فلا تستهن بها.

7- ابحث عن أصدقاء يحملون نفس الاهتمام، لست أنت الوحيد الذي يريد البحث عن الملل والوصول إليه، بل هناك المئات والآلاف ممن يبتدئون رحلتهم قريبًا، كن رفيقًا لهم في سفرهم، فإن وجهتكم واحدة. لقد بلغها ملايين البشر من قبل، وما زالت الطائرات تنطلق إلى هناك، وكذلك السفن المبحرة، والسيارات المتحركة، والدواب حاملة الأثقال والمسافرين. وجميعها لا تسير إلى غير الملل.

ابحث عمّن يرافقك، ويشد أزرك، ويقويك وأنت راحلٌ إلى الملل متوجهٌ إليه، ابحث عن مؤنس يزيل همك و(مللك) طوال الطريق.

وبكلمة مختصرة فإن هذه الخطوة تعني أن (تبحث عن الفارغين والعاطلين) لأن هؤلاء غالبًا هم أصحاب التجربة العريضة والخبرة الواسعة مع الملل. وهم خير من دل عليه. تباعد ما استطعت عن الناجحين، لأن هؤلاء هم النافرون عن الملل.

8- تذكر ماضيك السعيد وابتعد عن [النظر إلى] واقعك، حاول دومًا أن تستدعي لحظات الماضي عندما تواجه تغييرًا محتومًا. وغض الطرف عن رؤية الواقع الذي أنت فيه، البس نظارةً سوداء تحجبك عن محاسن واقعك، حتى تكثر من التشكي والتسخط، وتمني العودة للماضي.

فإذا انتقلت مثلًا من حي قديم إلى حي آخر، فتذكر باستمرار أصدقائك هناك، واجعلهم شغلك الشاغل. واعتبر حيك الجديد ابتلاء ومصيبة لا قبل لك بها، ولا تحاول استكشافه أو معرفة محاسنه التي تميزه عن حيك السابق.

استدعاء لحظات الماضي الزائلة يقطعك عن حاضرك، ويحيك في أوهام تلد آلامًا وتئد آمالًا.

وحينئذ ستغفل عن هذه الحقيقة: سيصير واقعك سيصير يومًا ما ماضيًا في مستقبلك. فهل تريد ماضيًا مشرقًا أم محرقًا؟

لقد اختصرت الملل في هذه الخطوات القليلة، وهي سهلة لمن وُفق إليها. ستلاحظ أنك ستنسجم معها بسرعة، وستصل إلى الملل الذي رغبت به. وستعيشه حتى النخاع لتشتكي منه بعد ذلك. لست -بالطبع- أول من يصل إلى الملل، فقد سبقك المئات والآلاف على اختلاف أجناسهم وطبائعهم وأديناهم وطرق تفكيرهم.

بعد أن تعيش ذلك الملل الطويل، ستداهمك الأحزان والهموم، وستعلم أنك قد تأخرت في حياتك، وأن الفشل هو ديدنك وعادتك التي لا تنقطع عنها بحال.

وبعد ذلك الملل الطويل، ستجد أن بعض أقرانك ممن كنت تلعب معهم وتمرح، قد تقدموك وتفوقوا عليك.

وبعد ذلك الملل الطويل، ستجد أن علاقتك مع الله قد فسدت وساءت، وأنك غفلت تمامًا عن ذكره -سبحانه وتعالى- والقيام بحقه عليك، وعبادته.

وبعد كل هذا ستجد أن عمرك قد ضاع وأنت لم تحقق أمرًا ذا بال في حياتك.

وبعد كل هذا ستدرك أخيرًا أن فشلك في إدارة وقتك، قد جلب لك جملة من المتاعب والآلام، والضغوط النفسية المتكررة.

وكل ما ذكرته من خطوات هي ما نراه واقعًا عمليًا في حياتنا وحياة الآخرين، فهل آن لنا أن ننزجر ونتوقف عن قتل وقتنا بهذه الطريقة؟

وهل آن لنا أن نستحضر أننا مسؤولون أمام الله عن وقتنا كيف قضيناه واستثمرناه؟ أفي باطلٍ بنيناه وشيّدناه؟ أم في الحق زرعناه؟

أعاننا الله وإياكم على استثمار أوقاتكم في كل خيرٍ ونفع.

البراء بن محمد

بين الظهر والعصر.

الرياض

يوم الأربعاء 1435/4/19هـ - 2014/2/19م.

## [38]

# بين لحظة التغيير والتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الكريم

أما بعد، فإن التوبة إلى الله والعودة إلى صراطه المستقيم شأن عظيم تناوله القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام كثيرًا، وقد أورده العلماء في مصنفاتهم، بل صنف بعضهم كتبًا مخصوصة في ذلك .

سأنظر إلى التوبة بنظرة مختلفة قليلًا وأربطها بواقعنا المعاصر، لأن الدين مرتبط بالحياة ولا ينفك عنها بحالٍ من الأحوال.

وهذا المقال هو محاولة اجتهادية لربط الوعظ ببعض ما نعايشه. فالوعظ والتذكير بالله يكون أقوى أثرًا ومفعولًا إذا رُبط بحياة الناس، وكذلك بعلمهم أن حياتهم الدنيا لا تستقيم أصلًا من غير اتباع سنن الله وهديه.

عندما ينحرف الإنسان عن مساره الصحيح الذي كان يسير فيه، فإنه يحتاج إلى علامات وإشارات تذكره بأنه يسير في المسار الخطأ. وكلما ابتعد الشخص عن مساره الصحيح، فإن وصوله إلى هدفه وغايته يتباعد طرديًا مع كل متر يقطعه بعيدًا عن غايته .

ومع ذلك كله فإن إمكانية العودة وتصحيح المسار تكون موجودة، ويُبذل معها جهدٌ كبير، ويُقضى لأجلها وقتٌ طويل، ولكنه في النهاية ضريبةٌ للإهمال والتفريط. ومن رحمة الله بعباده أنه يسّر لهم العودة وتصحيح أخطاءهم مهما كانت، والطريق لذلك موجود وإن جهله الإنسان أو تجاهله، يمتد هذا الطريق ويوازي عمر الإنسان حتى ينتهي بهلاكه ووفاته، وحينها ينتهي الطريق.

يبدأ التغيير الحقيقي والإيجابي في حياة الإنسان خلال أي مرحلة عمرية فهو ليس محدودًا بزمان معين. بل هو محتاج فقط للحظة تشتعل فيها نار الحماسة والإرادة ويصاحبها وقود الإصرار والعمل، ويقودها نور الأمل.

ومتى ما تلاقت الظروف المناسبة فإن التفاعل سيحدث بإذن الله وتكون نتيجته خيرًا وبركة -بإذن الله.-

وأول ظرف من ظروف التغيير هو الإدراك، الإدراك الذي يغيب عن الذهن لفترة -طالت هذه الفترة أم قصرت- ويحل محله الغفلة والشرود، فيقع الشخص في الأخطاء ساهيًا لاهيًا مبتعدًا عن هدفه وهو غير مبصر لما يجري حوله.

وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**)) [رواه البخاري].

وهذا الحديث ذو دلالة لطيفة على أن المؤمن يغيب عنه إيمانه بالله أثناء مزاولة الخطيئة، فيغلب صوت نفسه الأمارة بالسوء على مشاعره وإيمانه الصادق بالله، فينقاد لشهوته ويغيب عنه فداحة الخطأ الذي قام به.

وهكذا فإن كل من انشغل قليلًا بالملهيات على جانب الطريق نحو هدفه، فإنه سيتأخر ويتقهقر عن الوصول لمبتغاه، وكل دقيقة يمضيها في بعض هذه المشغلات، سيقضي ضعفها أثناء الطريق حتى يعوّض النقص الموجود.

وحتى يعود هذا الإدراك فإنه يجب قيام أصل العزيمة والإرادة في النفس ولو كان ضعيفًا، فإن النار أصلها شرارة صغيرة تكبر وتكبر، حتى تغدو شعلةً ولهيبًا ينفث دخانه في الآفاق.

وحتى يعود الإدراك فإنه يجب نصب الهدف أمام العين، يجب أن يقابلها في كل لحظة تنظر فيها، فيكون كالمنارة الكبيرة التي ترشد السفن في الليل، أو مثل نقطة الضوء البعيدة في ذلك النفق الطويل المظلم، فمهما تأخر عنها الشخص أو تشاغل فإنه لن ينساها تمامًا لأنها نجاته.

الظرف الثاني: **وضوح الرؤية**

عندما يكون هدف الشخص واضحًا ومحددًا فإنه سيبني حياته على أساس هذا الهدف، وسيبذل وقته وجهده وفكره لأجل هذا الهدف، وحينها سيتناسى تلك المشغلات على جانب الطريق والتي ستحرفه عن مساره وتؤدي إلى هلاكه.

ومن فضل الله على عباده أنه وضح لهم الهدف من توبتهم، وأن التوبة هي صلاح دينهم ودنياهم، وأخبرهم سبحانه بعواقبها الجميلة.

فقال الله في سورة التحريم: ((**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير**)) [التحريم/8].

والآيات والأحاديث كثيرة في عواقب التوبة الحسنة والجميلة، لذا فإنك تجد أن المؤمنين مهما أخطأوا فإنهم يعودون ويؤوبون إلى الله ويواصلون المسير في طريقهم المستقيم.

وفي ذلك يقول الله: ((**والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**)) [آل عمران/135].

وقال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف: ((**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائفٌ من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**)) [الأعراف/201].

فلما كان هدف هؤلاء المؤمنين واضحًا ، كان ذلك كافيًا لإيقاظهم متى ما توغلوا في الغفلة والنسيان.

وهكذا فإن أي إنسان صاحب هدف ورسالة إذا كان هدفه واضحًا ومحددًا فإنه سيكون منبهًا له إذا غرق في نومه.

الظرف الثالث: **وجود فرصة التغيير**

وهذا الظرف موجود غالبًا في حياتنا حتى وإن لم ندركه جيدًا، وقد يسر الله لعباده فرصة الإنابة والعودة إليه طوال العمر من غير اشتراط زمن محدد أو مكان محدد.

ففي الحديث النبوي المشهور: ((**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)) [رواه الترمذي] .

وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود: ((**ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**)).

بل ورد في حديثٍ آخر أن التوبة هي فرصة للتغيير تتجدد يومياً صباحاً ومساءً، وأن الإنسان يستطيع أن يتغير في أي لحظة يريدها.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**)) [رواه مسلم].

وستلاحظ أن فرص الحياة تتغير وتتجدد، فإن أغلق الله عز وجل عنّا بابًا -لحكمة لا نعلمها- فإنه سيفتح أبوابًا أخرى من الرزق والعلم لم تكن مفتوحة لنا من قبل.

صحيح أن أكثر الفرص إن ذهبت لا تعود، وهذا درس مهم يجب أن نستصحبه معنا في كل تجربة نمر بها. ولكن رحلة الحياة -رغم ذلك كله- لا تنتهي بموت فرصة أو ذهبها، فهناك مئات الفرص الجديدة التي تولد وتنبت.

ونظرة صغيرة إلى قصص الناجحين في الحياة تنبيك عمّا تقرر سابقاً، فبعض الناس لم يفلح في الدراسة أو التجارة أو طلب العلم ولكنه نجح في مجالات أخرى ومتعددة.

وهذا يذكرني بقول أحدهم :

"إذا لم تستطع أمراً فدعه *** وجاوزه إلى ما تستطيع"

متى ما اجتمعت الظروف الثلاثة المذكورة آنفاً (**الإدراك-وضوح الرؤية-وجود فرصة التغيير**) فإن التغيير الإيجابي سينبت ويترعرع بإذن الله، وينتج شجرةً جميلةً مورقة رائعة ظليلة.

وهذه الظروف السابقة مترابطة ومتشابكة -كما ترى- فكل ظرف يقود للآخر، وتبقى مسألة خلطها جميعاً وتفعيلها هي دورك ومهمتك حتى تبدأ التغيير الإيجابي

وخلاصة الأمر أن تدبر التوبة ومعانيها يُنشئ لنا صورة جميلة في واقعنا وحياتنا، تقودنا إلى النجاح الكبير في الدنيا، والنجاح الأعظم والغاية الكبرى وهي نيل رضا الله سبحانه وتعالى والسكنى في جنته الخالدة.

اللهم جد علينا بعفوك وحلمك، وارزقنا القوة والعزيمة حتى نحقق أهدافنا وغاياتنا.

البراء بن محمد (أبو مالك)

بين الظهر والعصر في مدينة الرياض.

الأربعاء 1435/4/12هـ - 2014/2/12م.

# [39]

## انتظار لن ينتهي (الجزء الأول)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين.

أما بعد،

الانتظار والترقب، هي لحظات من الشوق نحو المجهول أو المعلوم، ننتظره بأملٍ كبير أو يأس عظيم، ننتظره باستبشار وفأل يبهج الروح، أو تشاؤمٍ يضيق الصدر أو قلقٍ يمنع النوم.

قد يستطيل الانتظار ويتمدد عبر الزمن، ليستهلك عمرنا كله دون إدراك أملنا المطلوب، وهدفنا المرغوب.

ننتظر الزواج، وننتظر الموت، وننتظر النجاح، وننتظر الفشل، وننتظر الحبيب، وننتظر الراتب، وننتظر نتيجة الدراسة.

تعددت الانتظارات، والعمر يمضي والزمان يمر بسرعته المعتادة ليس بطيئًا ولا سريعًا، ولكن بسرعته التي أوجدها الله فيه.

ثمة انتظار طويل جدًا، وفيه يمضي كثيرٌ من العالمين وقتهم حتى يقضي الله آجالهم.

إنه انتظار التغيير من الخارج.

ينتظر خالد أن تأتيه نصيحة ذهبية تغيّر حياته للأبد، تنقله من الحضيض إلى العلو، ومن الجحيم إلى النعيم، ومن العمق إلى السطح. لقد سمع خالد كثيرًا عن قصص العظماء الذين غيّرت حياتهم كلمة واحدة، فكيف بجملة أو عبارة؟!

لم لا يكون خالد عظيمًا مثلهم؟ فينتظر النصيحة القوية العظيمة وهي تأتيه في طبق ذهبي.

ينتظر سعد أن يتغير أصدقاؤه للأفضل، حتى يطيروا به نحو المعالي، ويأخذوا بيده نحو الخير، ويبعدوه عن طرق الغواية والخُسر.

فسعد يعلم جيدًا أن الأصدقاء لهم تأثيرهم القوي على من يصاحبهم، وهو يحفظ تلك الحكمة جيدًا "قل لي من تصاحب أقل لك من أنت."

ينتظر أحمد أن يكون في مدرسة عظيمة تشتمل على جميع المرافق التعليمية المتميزة، وفيها المنافسة الشديدة والمحتدمة بين الطلبة، وفيها المدرسون المتميزون الذين يوصلون المعلومة بسهولة للطلبة، ويحفزونهم على النجاح، وكل ذلك حتى يحقق أعلى الدرجات.

ينتظر كامل تلك الدعوة الصالحة التي تغيّر حياته للأبد، وتهديه إلى الصراط المستقيم، ينتظر تلك الأكف التي ترتفع إلى السماء، لذا فهو دائماً يلح على الناس أن يتذكروه بالدعاء في كل لحظة.

كل هؤلاء وغيرهم وملايين البشر من قبل ومن بعد، ينتظرون أن تتغير البيئة من حولهم، حتى يغيروا أنفسهم بسهولة للأفضل، إنهم يتخيلون البيئة من حولهم كالمسننات داخل الآلة، أو كالحيوان ضمن قطيعه وجماعته.

إنهم ينتظرون هبوط التغيير من السماء، أو خروجه من باطن الأرض، أو إتيانه من الخارج.

إنهم يشبهون أنفسهم بالبرغي المفتقر إلى المفك الذي يربطه جيدًا ويضعه في المكان المناسب، ولا قيمة للبرغي بغير المفك.

إنهم ينتظرون وما أطول انتظارهم وما أبعدهم عن إدراك الغاية والمطلب.

إنهم يتجاهلون أو يجهلون قيمة وأهمية التغيير الداخلي للنفس، ويضعون كامل ثقتهم ومطلق أملهم في البيئة المحيطة أو القدر.

ولكن كم سينتظرون حتى يأتي التغيير من الخارج وتنزل الفرص من السماء؟

سنة أو سنتين أو عقدًا من الزمان أو قرنًا طويلاً؟

فهل نستطيع أن نتحكم في عمرنا بالإيقاف أو التمديد والتقليص؟

إن الذين ينتظرون قدوم التغيير من الخارج أو البيئة المحيطة أو ينتظرون الدهر والقدر، إنما هم كراغبٍ في السفر إلى وجهةٍ بعيدة. إنه ينتظر مترقبًا في محطة القطار مجيء القطار المناسب، لا يعلم كم سينتظر، ولكنه لن يحاول الوصول إلى وجهته بطريقةٍ أخرى بطائرةٍ أو سفينة أو سيارة أو مشياً على الأقدام.

إنه ينتظر قدوم القطار الذي قد يتسارع منطلقًا نحو هدف آخر، وقد لا يدركه هذا الشخص أصلاً.

"شط المزار بسعدى وانتهى الأمل *** فلا خيال ولا رسمٌ ولا طللٌ

إلا رجاءٌ فما ندري أندركه *** أم يستمر فيأتي دونه الأجلُ"

ولكنه يظل انتظارًا مريحًا ولا يتطلب منهم أي جهد يبذلونه سوى الاسترخاء والراحة، والقليل من التفكير، وكل هذه المميزات تريحهم وتخفف من طول ووطأة الانتظار.

نرجو وننتظر أن تطل علينا رياح التغيير، فتحرك المراوح الموجودة لدينا، وتفجّر طاقاتنا الداخلية، ننتظر النصيحة الجميلة الرائعة التي تغيّر مسارنا نحو الأفضل، فنحن كالطواحين الكبيرة التي تنتظر هبوب الرياح حتى تتحرك مراوحها وتطحن الحبوب.

وننتظر أن نجد الصديق المتميز المثالي الذي يعيننا على القيام بالخيرات، والانكفاف عن الموبقات، ننتظر أن نجد هذا الصديق، ولا نبذل حتى الجهد البسيط في البحث عنه، فقد يأتي به الله إلينا منقذًا ومخلصًا، وإلا فسنظل

نراوح مكاننا، فنحن كالسيارة التي تنتظر قدوم السائق مع مفتاحها حتى تتحرك.

وننتظر أن تأتي كارثة طبيعية أو يحدث ظرف قاهر للدكتور أو المدرس فيتأجل الاختبار، أو توضع أسئلة سهلة جداً، أو يقيّض الله لنا من يساعدنا بالإجابات، وإلا فلن نذاكر أو ندرس، فنحن كالحاسب الآلي ننتظر من يوصلنا بالكهرباء، ويستخدمنا باحتراف ومهارة حتى نعمل بكفاءة عالية.

وننتظر أن يأتي الله بالرجل المخلّص أو ينزل صاعقةً من السماء، أو يأتي بالملائكة، أو يصيب عدونا المحتل بالطاعون والأمراض الخبيثة، وإلا فلن نطلق البارود أو نحفّز الجموع لتحرير الأرض والجهاد، فنحن كبيادق الشطرنج التي تحتاج لمن يحركها.

نرجو وننتظر ولكن ما هي نتيجة انتظارنا ورجاءنا وترقبنا وشوقنا؟

لدى الجميع (رجاء) ولكنهم يفتقرون لل(أمل) إلا القليل. كل الطلاب (يرجون) النجاح، وكل الشباب (يرجون) الزواج، وكل الرجال (يرجون) العمل المريح المناسب ذا الدخل المرتفع.

ولكن القليل منهم (يأملون)، وذلك لأن (الأمل) يختلف عن (الأمنية).

فالأمل يكون انتظارًا واستبشارًا بالنتيجة الجميلة، ولكنه ليس سكونًا في محطة القطار، بل هو انتظار يرافقه العمل ويتزامن معه. فهو انتظار المزارع الحريص لخروج محصوله، وانتظار الطالب المجتهد لنتيجة الدراسة، وانتظار التاجر المثابر لقبض ثمن أتعابه وأعماله. انتظار يصاحبه عمل.

والأمنية هي انتظارٌ ورجاء للمستحيل أو الممكن، يتمنى المسن أن يعود صغيرًا، ويتمنى الكسول أن ينجح، ويتمنى العاطل عن العمل أن يجد وظيفة، فكلهم ينتظرون في المحطة، ويجلسون في المقاعد، ولا يتحركون. انتظار بلا عمل.

هل الطبيعة تغير الإنسان وهل الزمان والمكان يؤثران فيه؟ وهل انتظار المتغيرات الخارجية منهج سليم؟

هذا ما سنحاول الإجابة عنه في الجزء الثاني.

والحمد لله رب العالمين.

البراء بن محمد

ليلة السبت 1435/8/25هـ - 2014/3/29م

## [40]

# انتظار لن ينتهي (الجزء الثاني)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين،

أما بعد، فهذا الجزء الثاني من (انتظار لن ينتهي).

وكنت قد طرحت في الجزء الأول مقدمةً عن انتظار المتغيرات الخارجية وتأثيرها على الواقع، وكيف أن كثيراً من الناس ينتظرون قدوم التغيير من الخارج.

وفي هذا الجزء أتحدث عن الزمن وتأثيره علينا، وكذلك عن خصائص وسمات منتظري التغيير من الخارج.

*الزمن

يكاد يجمع البشر ويتفقون (على كثرة اختلافهم وتفرقهم) على أن الإنسان له بداية وله نهاية، ويعيش عمراً محدداً، لا يزيده أو ينقصه.

فنستطيع تمثيل حياة الإنسان بهذا الخط المستقيم

البداية-------------------------------------------------------------------------------------------النهاية

يتحرك الإنسان في حياته منطلقاً من البداية حتى يصل إلى النهاية، وحينها تنتهي حياته وأعماله.

نقول إن الزمن خط متحرك، بدأ ونشأ من نقطة بعيدة مجهولة لا نستطيع تحديدها، ولا يزال متحركاً بسرعته الثابتة، ما لم يطرأ عليه تغيير في ماهيته.

وقد يسر الله علينا، وأرشدنا إلى وسائل ووحدات نستطيع بها تقسيم الزمن كـ(الثانية-الدقيقة-الساعة-اليوم-...إلخ).

وقد اندلع جدال طويل حول تعريف الزمن وماهيته، ومعركة كبيرة بين الفلاسفة والمفكرين، وقد لخص العالم المشهور إتيين كلاين في كتابه (هل الزمن موجود؟) كثيرًا من المفاهيم والرؤى حول الزمن. وهذا الكتاب ترجمه د. فريد الزاهي إلى العربية.

(المستقبل)----------------------------------------(الحاضر)---------------------------------------------(الماضي)

حياة الإنسان دائرة بين هذه المحطات الثلاث، فمنذ لحظة البداية والخلق، كان عمرنا يتمثل لنا مستقبلًا بعيدًا عاليًا كقمة الجبل المرتفعة، فإذا به يتقارب فيصبح حاضرًا، نعيشه ونحيا في لحظاته، ثم يتباعد فيصبح ماضيًا سحيقًا.

المستقبل، لا نستطيع عيش لحظاته لأنه غائبٌ عنا، فنحن لا نستطيع أن نتجاوز الدقيقة التي نحن فيها لنمسك بدقيقة الغد، وأما الماضي فقد أفلت من أيدينا، فلا نستطيع مطاردته وإلا فإن اللحظة الحاضرة ستضيع أيضًا.

ولذلك قال أحدهم:

"ما مضى فات والمؤمل غائبٌ *** ولك الساعة التي أنت فيها"

لحظة الفرح ولحظة الحزن متساويتان في السرعة، ودقيقة الضحك ودقيقة البكاء، تتحركان بنفس التسارع.

إن الساعة التي تقضيها في قاعة الاختبار مساويةٌ في المقدار للساعة التي تقضيها في لعب الكرة، نعم إن شعورك الداخلي بالوقت يوهمك بثقله عليك أو يشعرك بأنه يمر كمر السحاب.

ومع ذلك فلن تصير ساعة لعب الكرة 30 دقيقة، ولن تؤول ساعة أداء الامتحان إلى 80 دقيقة، فهما متساويتان كمًا.

من ذلك أستطيع استنتاج أن الزمن محايد، فلا أستطيع وصفه بالخير أو بالشر، إنه يمضي بصمت وحيادية شديدة، أنت من يلوّنه ويصبغه بما تشاء من أعمال.

عمرك يمضي وينقضي سواءً عملت فيه أم لم تعمل. إنما مثل ما تمضيه من عمرك كامرئٍ يكتب في دفتر كبير، لا يعلم عدد صفحاته، ولكنه يكتب باستمرار، سيكتب أي شيءٍ قام به ولو كان انتظارًا مجردًا، ثم يقلب الصفحة، ويتلوها بصفحة أخرى، ولكنه لا يعلم متى ستكون الصفحة الأخيرة التي يطوي فيها كتابه.

وستُسأل -بعد ذلك- عن كل ما سطرته يداك في هذا الكتاب، وفي ذلك يقول الله: ((**وكل إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً*اقرأ كتابتك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**)) [الإسراء/13-14].

الخلاصة:

يجري الزمان رغمًا عنك، وهو محايد في سيره، ومعتدل في سرعته، فلا يزيد ولا ينقص (ما لم يتغير نظامه)، فلن يأتي انتظار قدوم التغيير مع تغير السنين بأي بنتيجة مطلقًا.

ولن يجدي سب الزمان وشتمه شيئًا فضلًا عن أن يعود علينا بخير أصلًا، لأننا نحن من يجعل زماننا طيبًا مباركًا أو فاسدًا ظالماً.

"نعيب زماننا والعيب فينا *** وما لزماننا عيبٌ سوانا"

إن وجودك الآن أو قبل قرنٍ من الزمان، لا يعني شيئاً بحد ذاته، ولا يغير فيك شيئًا، وأنت لن تتغير إلا مع متغيرات ذلك الزمان، وليس بمرور الزمن المجرد.

وأضرب مثالًا لتتضح الصورة، لو قدّر لنا واستطعنا أن نختطف أحد أجدادنا الذين عاشوا قبل 200 سنة، ثم تقدمنا به نحو زماننا وقذفناه في تلك المدينة الصناعية الكبيرة، فكيف سيتصرف وقتها؟ سيتصرف كما كان يتصرف هو في زمانه، ولن يتصرف كما يتصرف الناس بعد 200 سنة.

وبالمثل إذ لو قذفناك نحو غابة نائية قبل أكثر من 500 سنة، فإنك سوف تضجر منها وتمل بسرعة، ولن تعرف كيف تتعامل مع الحياة هناك بلا هاتف نقال أو حاسوب، وستتصرف كما تتصرف في زمانك هذا.

والسبب أن مرور السنين وحده لا يغير في الإنسان شيئًا، ولكن يساعد في تغييره العوامل الخارجية (تغير المكان-تغير الناس وعاداتهم-تغير الجو) وكذلك العوامل الداخلية (تغير شكل الجسم والعقل بعد مرور السنين).

حسنًا، بعد بحث مسألة الزمن وتأثيره، لنرَ ما هي خصائص وصفات الأشخاص الذين ينتظرون التغيير من الخارج. وذلك قبل انتقاد هذا المنهج.

هناك سبع خصالٍ تميز المنتظرين للتغيير من الخارج، وسيماهم في أعمالهم وأقوالهم، وقد توجد لديهم صفات سلبية أكثر.

1- التشبه بالآلة:

من ينتظر التغيير من الخارج هو في حقيقة الحال وعاقبة المآل، آلةٌ تنتظر فعل الفاعلين حتى تتحرك أو تعمل.

إنه مسمار ينتظر ضربة المطرقة، وينتظر قبلها أن يضعه النجار في المكان المناسب.

وهو مسننٌ في بطن المحرك أو الساعة ينتظر حركة الآخرين قبل أن يبدأ بالدوران والتحرك.

كل الآلات التي يصنعها الإنسان تتسم بأنها قوة لا تتحرك إلا بمساندة فاعل، عدا ذلك فإنها تبقى عديمة الفائدة والحركة.

فالذي ينتظر التغيير من الخارج قد صار شبيهًا بالآلات، بل هو في الحقيقة أسوأ وأقبح منها، لأنه قابلٌ للتغيير ومع ذلك فإنه عطّل نفسه بإرادته.

ومكمن الخطورة أن هذه الآلات قابلة للدمار والعطل والخلل، بمجرد إساءة المتحكم بها، وهي بالطبع ليس لها إرادة.

فمن ينتظر التغيير من الخارج ويبني عليه آماله وأمنياته، هو منتظرٌ للتغيير المجهول الذي قد يغيره نحو الأفضل أو الأسوأ.

2- حفظ الحركة (الطاقة):

الشخص الذي ينتظر التغيير من الخارج، هو من أكثر الناس حفاظاً على طاقته، فهو لا يغيرها أو ينتج منها قوةً فعالة، بل يترك هذه الطاقة خاملةً لديه، تنتظر التشغيل من الآخرين.

ورغم أنه الأعرف والأدرى بكيفية استثمار طاقته، إلا أنه يتركها هكذا لعل أحدهم يتبرع ويضغط الزر الأحمر، أو يحفزه للعمل.

وهكذا إما أن تصبح الطاقة في عمل وإنتاج (سواءً كان في الخير أم في الشر) أو تبقى خاملة لفترة، ثم تبدأ بالتلاشي شيئًا فشيئًا.

3- فقدان التحكم:

أصحاب التغيير من الخارج، ليس لديهم استقلالية في اتخاذ قراراتهم وآرائهم، وذلك لأنهم لا يملكون مفتاح ذلك أصلًا، وهو التغيير الداخلي. فالعاجز عن التفكير السليم في مصلحته، والعاجز عن إدارة وقته، هو من أضعف الناس قدرةً على اتخاذ القرار السليم.

وبسبب ذلك، فإنه سينتظر متى سيقرر أهله الزواج، وسينتظر أصدقاءه ليقرروا له التخصص المناسب، وهكذا، فهو موضع الاختيار الجبري، لأنه لا يملك خيارات أخرى أو بالأصح لم يفكر فيها أصلاً.

وبالتالي، فإن حياة أي شخص ينتظر التغيير من الخارج ستخرج من ملكه إلى ملك غيره، وسيستمتع بها غيره أكثر منه.

4- فقدان الحرية:

منتظر التغيير الخارجي، هو إنسان غير حر، لأنه قيّد نفسه، وكبّل فكره، فلا يستطيع أن يتحرك في مسارات أخرى أو يشق طرقًا مختلفة، وذلك بسبب العبودية التي سربل نفسه بها.

إن منتظر التغيير الخارجي لا يملك اتخاذ قراره بنفسه، وهذا أكبر مطعن في حريته، لأن الحرية إرادة وقدرة، ومتى ما سقطت الإرادة تهاوى بنيان الحرية.

ولذلك فإن العبد (أي عبد) ينتظر التغيير القاسي حتى يتغير من نفسه، ويستقيم، ويواصل في الطريق المستقيم.

وفي ذلك يقول أحدهم:

"العبد يُقرع بالعصا *** والحر تكفيه الملامة"

إن مجرد وجود لافتة ضوئية على جانب الطريق، لكفيلة بأن تهدئ من سرعة بعض المبالغين في سرعتهم، ولكنها غير كفيلة بذلك بالنسبة لكثيرٍ من المتهورين الذي ينتظرون الهلكة أو الإصابة البليغة حتى يتعظوا ويتوقفوا.

5- الجمود:

قلنا أن منتظر التغيير من الخارج هو آلة تنتظر الفعل من الخارج، وهي في نفس الوقت، جمادٌ لا يتحرك.

إنه كمن أراد التوجه نحو مدينةٍ ما فركب سيارته، وأدار المحرك، ولكنه توقف بعد أمتار قليلة، لأنه نسي الوجهة، أو ضل الطريق، أو ليس لديه خريطة، أو يريد تعبئة الوقود.

ومع كل تلك الظروف الصعبة، فإنه يسند مقعده للوراء، ويغفو غفوةً طويلة، عسى أن يأتي أحد أهل الخير ليرشده ويمسك بيده، ويوصله نحو الهدف.

ما أصعب أن يتحول الإنسان من كتلة روحية متحركة إلى مادة جامدة صلبة لا يستفيد منها الناس!

والإنسان جزء كبير من الحياة، فماذا لو توقفت هذه الطاقة الكبيرة من الحركة والعمل؟

من سيعمر الأرض ويسهل الحياة؟

6- الخوف من التغيير:

أكثر الناس خوفاً من تغيير واقعهم هم الذين ينتظرون التغيير من الخارج، لأنهم يظنون ويعتقدون أن التغيير الداخلي له تكاليف كبيرة، وتبعاته ثقيلة، لذا فيتوقفون عن أي محاولة للإبداع أو التجديد، إلى أن يجبرهم الآخرون على ذلك.

وبسبب خوفهم هذا، فإنهم يتوقعون أن تبعات التغيير الخارجي أسهل بكثير من التغيير الداخلي، لذا يركنون إلى تغير الزمان والمكان.

إنهم يخافون من التغيير ولو كان خوفهم على حساب تحقيق أهدافهم، إنهم ينتظرون وجود الطريق السهلة الهيّنة واللينة.

وقد يتأخرون عن تحقيق أهدافهم حتى توافيهم المنيّة وهم في أدنى الدنيّة.

"ومن يتهيب صعود الجبال *** يعش أبد الدهر بين الحفر"

7- العشوائية:

لن تجد -بالطبع- أن منتظر التغيير الخارجي صاحب خطة وهدف محدد وواضح. فهو يسير في الحياة متخبطًا كما يتخبط السكران الماشي في الشارع، أو كورقة شجر تحركها الريح حيث شاءت.

إنه يسير بسيارته خبط عشواء، حتى يجد المسار الصحيح، وقد يعلق في حفرة، ولكنه لن يكلف نفسه عناء الخروج منها أو حتى شرف المحاولة.

إنه يعمل يومًا وينام عشرًا، يذاكر ساعة ويلعب ساعتين، يتخبط بين الإفراط والتفريط، بين الغلو والتساهل، وقد يموت دون الوصول إلى سبيل الاعتدال.

فهذه السبع خصال، هي خصال قاتلة ومدمرة، متى اجتمعت في أحدهم، فإنه قد انضم رسميًا إلى حزب "منتظري التغيير الخارجي"

وباستقراء هذه السبع خصال، وتطبيقها نجد أن المئات بل الآلاف من الناس ينتظرون على رصيف الحياة، قدوم التغيير من الخارج.

فهل منهج التغيير من الخارج وانتظاره سليم ومجدي؟

وهل هناك آثار سلبية ومقيتة لانتظار التغيير من الخارج؟

هذا ما سنراه وندرسه في الجزء الثالث إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين

البراء بن محمد

ليلة الأحد 1435/6/6هـ - 2014/4/6م

## [41]

# انتظار لن ينتهي (الجزء الثالث والأخير)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين.

أما بعد،

فهذا هو الجزء الثالث (الأخير) من سلسلة انتظار لن ينتهي.

كنت قد تحدثت في الجزء الثاني عن صفات وخصال المنتظرين للتغيير الخارجي، وذكرت أبرزها وهي: (التشبه بالآلة - حفظ الحركة - فقدان التحكم - فقدان الحرية – الجمود - الخوف من التغيير - العشوائية) وهي كما ترى خصال متشابكة ومترابطة. وقبلها تحدثت عن الزمن وتأثيره.

وأختتم في هذا الجزء سلسلة انتظار لن ينتهي بتعليق جامع.

يقول الله تعالى: ((**عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال*سواءٌ منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مُستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار*له معقباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال**)) [الرعد/9-11].

أنعم الله سبحانه وتعالى علينا بالحرية، ومنحنا الإرادة، ووهبنا القدرة، ومتى ما تكاملت واجتمعت الحرية والقدرة كانت المسؤولية لازماً من لوازم ذلك.

منح الله الإنسان قدرة التغيير الذاتي والتي تميزه عن كثيرٍ من المخلوقات، فالإنسان يغير ويتغير (غير أنه لا يخرج عن مشيئة الله بحال)، وينعكس تغييره على نفسه، بل يتعداه إلى محيطه.

وجعل الله فرصة التغيير للإنسان متاحة بقدر عمره، فالفرص تتوالى عليه، وهو من يستغلها إما لصالحه أو لعكس ذلك.

إن الإنسان يعمر إن شاء أو يهدم الإنشاء، يعبد الله أو يكفر به، بيده أن يتغير للأفضل أو يتغير للأسوأ.

ليس الإنسان مسمارًا أو مسننًا في محرك الطبيعة، بل متى قامت عليه الحجة، ووُجدت لديه القدرة، وكان حرًا فهو مُكلفٌ مسؤول.

فإما أن يوقظ الإنسان الطاقة الكامنة في داخله ويتوكل على الله في ذلك، قاصدًا نيل خيري الدنيا والآخرة، وناهضًا بنفسه ومجتمعه فيُحمد على ذلك ويكون له المجد الكبير والفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

أو يخمل وتخمد شعلته، وينتظر أن تتغير السماوات والأرضين، بينما هو في غفلته سادرٌ غافلٌ لاهٍ.

"اقرأ التاريخ إذ فيه العبر *** ضاع قومٌ ليس يدرون الخبر"

ولنعلم أن ما سنحصده من ثمرات أو جمرات هو حصاد أعمالنا وتغييرنا لما حولنا، فإن غيرناه للأفضل، فبها ونعمت، وإلا فإن التغيير للأسوأ لن يأتي إلا بشر.

وفقنا الله جميعًا للتغيير والتغير نحو الأفضل والأحسن والأكمل.

البراء بن محمد

الرياض

1435/9/17هـ - 2014/7/15م

## [42]

# مشكلتي مع متابعي كرة القدم

أحب أن أنوه في البداية أنه لا مشكلة شخصية بيني وبين أي متابعٍ للكرة، فأنا كنت أحدهم ذات يومٍ، ولي معارف غارقون بها لحد النخاع، وبعضهم من فضلاء الناس.

فما المشكلة -إذن- مع متابع الكرة؟

سأحرر مقصدي أولًا بتبيان المصطلحات التالية حتى نعلم الفئة المستهدفة بما سأقوله.

ممارس كرة القدم: وهو الشخص الذي يلعبها باستمرار، ويمارسها كلما سنحت له الفرصة بذلك، وهو خارج محل البحث بداهةً.

مُشَاهِدُ كرة القدم: هو الذي يقصر متابعته لكرة القدم في أوقات الفراغ المحض، وقد يتسلى أحيانًا بمشاهدة كبرى المباريات، إلا أن اهتمامه بكرة القدم وشؤونها لا يتجاوز صافرة الحكم الأخيرة التي تختم المعركة بين الفريقين (عذرًا قصدت المباراة). وهذا خارج محل البحث أيضًا، إلا أنني سأشير إليه في بعض المواضع قصدًا.

متابع كرة القدم: -وهو مربط الفرس، ومقصد البحث- هو من يتابع شؤون اللاعبين المختلفة، ولا يكتفي برؤيتهم يركضون في المستطيل الأخضر، بل يوسع اهتمامه ليشمل به أخبار النادي (أو الأندية) الذي يشجعه، وتحليلات اللاعبين السابقين، وتصفيات البطولات العالمية والمحلية، ومباريات الاعتزال والمباريات الودية ... إلى آخره.

(1)

لماذا تتابعون كرة القدم؟

الإجابة الموحدة بين متابعي هذه الرياضة (وغيرها من الرياضات، ولكنها مقصودة أصالةً في البحث) هي: المتعة، والقليل من الإثارة.

جميل، وماذا بعد؟

(...)

لا إجابة في الغالب، فالمتعة لا غير؛ هي الغاية والوسيلة معًا!

(2)

متابعة كرة القدم (بالمفهوم الذي قدمته سابقًا) لا منفعة منها، وكل ما ليس منه منفعة فالاشتغال به والاهتمام به حمقٌ وتضييع للوقت والجهد وربما المال أيضًا!

كيف تقول أنها بلا منفعة، وأنت تعلم أن حصول المتعة من مشاهدة المباريات = منفعة؟

هذا صحيح، ولكن حصول هذه المنفعة -وحدها- لا يرجح أن متابعة كرة القدم أمرٌ نافع، ولا يرجح كفة منافعها ومصالحها على مضارها ومفاسدها.

وإلا فما هي المنافع الأخرى التي يجنيها متابع كرة القدم من متابعته هذه؟

لا منفعة على الصعيد الفكري والذهني، فمتابع كرة القدم يظل كما هو، لو أتيته بعد سنة أو عشر سنين، فلن تتغير عقليته أبدًا، ولن يزداد علمًا سوى بأخبار اللاعبين والأندية فقط، وهي معلومات كمية لا ارتباط لها بواقع حياتنا ولا أخلاقنا ولا سلوكياتنا ولا أفكارنا. فاكتسابها غير نافع وجهلها غير ضار + لا ملكة ذهنية أو عقلية قد نُمّيت.

لا توجد منفعة من ذلك على الصعيد النفسي والجسدي الصحي أيضًا، فمتابع الكرة ولو مكث الساعات الطوال أمام الشاشة الصغيرة (تلفازًا كانت أم حاسوبًا أم شاشةً في مقهى) أو زاحم الصفوف الطويلة ليظفر بمقعدٍ صغير يرى به المباراة عن قرب (أو في بعض الأحيان يضع مقعدته على مساطب الاسمنت)، فإنه مع ذلك كله لن يفقد شيئًا من وزنه الزائد، ولن تعتدل بنية جسمه وقوامه بتنفيذ جميع ما سبق (يُلفت النظر إلى أن بعض متابعي الكرة ممارسون لها ومواظبون عليها، ولكن هذا لا يجعل تلازمًا بين

متابعة الكرة وممارستها، فمتابع الكرة إذن مختلف بهذا الوجه عن ممارسها).

أما الجانب النفسي، فقد تسوء نفسية المتابع وتتلف عواطفه ومشاعره بعد حماسه وتفاعله الشديد مع الكرة المتقلبة التي توسّع فمه من السعادة يومًا، وتبكيه دموعًا ودمًا في يومٍ آخر. مع التذكير بلحظات الانفعال والغضب التي يعقبها شتمٌ ولعنٌ للاعبٍ أضاع هجمة سهلة (كما يراها المتابع!) أو استهتار حارسٍ بفريقه الذي خسر ذلك النهائي العظيم.

وهنا حجةٌ أخرى بعد الاستطراد السابق، وهي أن الناس يتقحمون كبائر الذنوب تقحمًا قويًا، فيزنون ويشربون الخمر، ويسرقون، ويقتلون، ويأكلون أموال بعضهم بالباطل، وهم مع ذلك كله مستمتعون مشتهون متلذذون بفعل ذلك!

فهل تمتعهم بذلك وتلذذهم به يحيل مضار هذه الأفعال منافع؟ وهل (اهتمامهم) بذلك يعذرهم من النقد والنصح والتوبيخ؟

(3)

في الجهة المقابلة، ما الذي يبذله المتابع في سبيل (متعته)؟

وقبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن يُعلم أن غالب متابعي كرة القدم = مستهلكون، فالواحدُ منهم ليس مساهمًا في النادي بماله أو عضوًا مؤثرًا فيه، ومن ثمَّ، فإن وجود الفرد منهم أو عدمه ليس له أثر البتة، اللهم إلا اجتماعهم، كما تجتمع قطرات الماء (إنما السيل اجتماع النقط)

الكثير من الجهد الذهني، والمال، والوقت، وربما الصحة أيضًا!

فأما الصحة، فنحن نعلم ما قد يمر به متعصبة المتابعين من أمراض الضغط والبدانة وغيرها لإفراطهم في المتابعة من خلف الشاشات.

ونحن نعلم التقلبات المزاجية التي يمرون بها أثناء مشاهدتهم للمباراة، والتي قد يفتعلون بعضها لإثارة الحماس.

وأما المال، فهذا واضحٌ جلي، لن يدخل متابع الكرة الملعبَ مجانًا في الغالب، بل سيدفع قدرًا من المال لشراء التذكرة، وقد يتكرر ذلك منه إن كان رئيس رابطةٍ ينعق بصوته، أو مرافقًا يضرب الطبل، أو مشاركًا يلوح بيديه حتى يراه المشاهدون في التلفاز.

يبذل متابع الكرة جهدًا ذهنيًا كبيرًا في غالب نقاشاته الكروية وتحليلاته لاجتهادات المدربين وعقود ملاك الأندية، وتنبؤاته المستقبلية بسير الفريق في بطولة الدوري أو الكأس.

ولا داعي للتذكير مجددًا بأنه لا أمل بحصول منفعة من هذا المجهود، الذي يتخلله التعصب والعاطفة الشديدة اللذان يذكينهما الإعلام الرياضي ومشاهير الكرة.

أما الوقت، فمتابع الكرة (كما قدمنا) لا ينحصر وقته في 90 دقيقة فقط، بل يتجاوزها إلى عشرات الساعات المبذولة في مشاهدة المباريات الفائتة أو اللقطات الإبداعية، ولا ننسى النقاشات الكروية بين جماهير الأندية المختلفة، وأيضًا قراءة الكثير من الجرائد الرياضية، وتصفح المواقع المهتمة بذلك كله.

ولنا أن نزيد على ذلك القول بأن متابعة الكرة طريقٌ إلى التعصب الرياضي الذي يمسخ الفكر والعاطفة. لأن المتابع يذوب جزئيًا في النادي الذي يشجعه وذلك ببذله للانتماء العاطفي الكبير له، فيتمثل فيه إنجازاته وإخفاقاته. أما المتعصب فيتحد وجوده بوجود النادي، فيغدوان موجودًا واحدًا رغم أن الإساءة للنادي تضر المتعصب أكثر من الإساءة الموجهة للمتعصب.

المتابعة نفسها نشاط عبثي لأن الحق أن إنجازات الأندية ينالها أربابها ولاعبوها والمساهمون فيها بأموالهم حصرًا دون غيرهم، كما أنهم من يتحملون ثمن إخفاقاتهم. فكيف يسوغ لعاقلٍ أن يربط نفسه عاطفيًا وفكريًا بما لا ثمرة له من ورائه؟

إن فهم هذه العبثية التي تتخلل التشجيع الرياضي يسهّل علينا كثيرًا فهم التعصب الرياضي وتفهم دموع المشجعين وشغبهم وبأسهم على بعضهم

في الانترنت والواقع والمدرجات. فمن سهل عليه أن يجعل النادي الرياضي هوية له سيسهل عليه أن يغرق فيه حتى النخاع.

والحق أن الفرق بين متابعة كرة القدم من حيث كونها نشاطًا ذهنيًا ونفسيًا يتخلل مشاهدة المباريات وتحليلها وتشجيع الأندية ومعرفة أخبارهم وتتبع كلام الإعلاميين حولهم، والتعصب الذي يكون فيه شديد القتال والبذاءة والإسفاف = فرقٌ رقيقٌ يصعب أن يفصل بينهما.

فحتى لو قيل بأن الإعلام الرياضي هو من يذكي التعصب ويقويه في النفوس، فالمتابعة للكرة تتأثر وتنفعل به كما تقرر ذلك.

أما القول بأن في مشجعي الكرة بعض الناجحين والمتفوقين في حياتهم، فهو استدلال خاطئ زائغ عن سنن التفكير الصحيح. فمتابعة كرة القدم من حيث هي = مجرد نشاط منفصل عن التفوق الأكاديمي والذكاء الاجتماعي. والربط بينها وبين غيرها على أساس علاقة سببية بين أثر ومؤثر يستلزم دليلًا وتعليلًا.

ونعيد طرح الأسئلة الجوهرية الهامة: ما هي القيمة الكبرى التي تضيفها متابعة كرة القدم للإنسان؟ ما الثمرة العظمى التي يحصّلها متابع الكرة بعد شهورٍ وسنينٍ من متابعته للكرة؟ ما حاجة الناس الحقيقية لمتابعة الكرة؟

(4)

يقتصر بعض الدعاة والوعاظ عند حديثهم عن متابعة كرة القدم على الحث على عدم التعصب والاهتمام بالصلاة، وهو جهدٌ مشكورٌ ولا شك، ولكنه يختزل المشكلة بأعماقها، ويسطحها بما يزيد من غفلة الواقع فيها ويجذبه أكثر إليها.

لن أقول أن الكرة وسيلةٌ يستخدمها الطغاة لإلهاء الشعوب، أو مؤامرة صهيونية لصرف المسلمين عن قضاياهم الكبرى، فهذا ادعاء ضخم لا أتحمل تبعة طرحه بلا برهان مقنع.

المشكلة هي جعل وسائل الترفيه التي لا يُلتمس منها النفع = مشروعاتٍ حياتية، وما سواها = مشروعات فرعية.

ليست مشكلتنا مع الكرة وحدها، بل إن أي متابعة لوسيلة ترفيه (سائر الرياضات والأفلام والمسلسلات مثلًا) بنفس القدر الذي أشرتُ إليه سابقًا هو مشكلة كبرى.

(5)

يطرح بعضهم سؤالًا بريئًا عن البديل المناسب، أو يقولون أن انشغال الناس بمتابعة كرة القدم خيرٌ من انشغالهم بالأفلام الإباحية والتفحيط وغيرها.

أما التساؤل الأول فهو مشروع وضروري ولا أنكر ذلك مطلقًا. ولكن لا ينبغي أن أجيب عن هذا السؤال مباشرة بصياغته هذه.

لست أبتغي تقييد المباحات التي ينتفع منها الناس وحصرها فيما تشمله رؤيتي الخاصة القاصرة، فهذا استبداد لا أحبه ولا أرضاه.

ولكنني أشير إلى معيار أساسي عام ومهم وهو حصول النفع الفردي والجماعي من البديل الذي سيستبدل به متابع الكرة نشاطه.

فلسنا نريد أن ينقلب متابع الكرة إلى متابعة أخبار المشاهير أو الانشغال بالألغاز والأسئلة والأجوبة الثقافية، فهي استجارة بالرمضاء من النار. ولكننا نريده أن ينتفع ويتعظ من ماضيه الأغبر ويستلهم العبر ممّن جربوا قبله وفهموا اللعبة أكثر.

أكاد أجزم أن انشغال المرء بالعطور وأنواعها أو إطارات السيارات ومستلزماتها أنفع مئة مرة من طلبه واكتسابه للمعلومات النظرية عن ممارسي كرة القدم لا عن الرياضة ذاتها.

ومن هنا يكون الرد على من يقول أن أداء المرء في كرة القدم يتحسن إن شاهد المباريات وتابعها. فنحن قد لا نجادله في ذلك، ولكن إن كانت متابعة 10 أو 20 مباراة كافية للمرء حتى يفهم اللعبة ويدركها جيدًا، فما الداعي لزيادتها عن ذلك؟

الواقع أن غالب متابعي كرة القدم ليسوا مدربي أندية تتعلق أموالهم بذلك، فيشاهدونها لغرض ينفعهم وحدهم وحسب. ولكنهم أقل من ذلك بكثير، فلماذا يشغلون أنفسهم بذلك؟

ولو قلنا جدلًا بأن نسبة المدربين فيهم هي 50% فما الداعي لانشغال البقية بها؟

وننطلق من هنا لحل الإشكال الثاني -في نظر صاحبه- وهو أن متابعة كرة القدم خير بديل عن ما هو أحط منها وأخس.

وهذا في مجمله صحيح، ولكنه مقصودٌ لباطل. إذ أنه ثبت أن متابعة كرة القدم إن لم تضر صاحبها مباشرة، أضره تراكمه في ذهنه واعتياد نفسه عليه. وحصر خيارات الشباب وعاداتهم بين مباح غير نافع ومحرمٍ ضار هو مغالطة في حد ذاتها. وما ينفع الشباب ويصلحهم ويناسب مرحلتهم العمرية والجسدية أوسع من ذلك بكثير.

(6)

سؤال أخير وجريء

ما الذي سيضرنا لو خفضنا الإنفاق أو جففناه عن الأندية الرياضية أو أي وسيلة تدفع الشباب لمتابعة الكرة والرياضة؟

ماذا لو حوّلنا هذا الصرف الضخم على مشروعات أخرى كالتعليم والصحة والاقتصاد...إلخ؟

وكما أسلفتُ الذكر، فممارسوا الرياضة يختلفون تمامًا عن من شُغِفوا بمتابعتها.

ومُشاهد الكرة = خيرٌ ممن يتابعها، ومن يستغل وقت ترفيهه فيما ينفعه = خيرٌ منهما جميعًا.

أعد النظر فيما ترفه به نفسك، وما تستمتع به، فقد تكمن فيه مضرتك من حيث لا تدري!

والله أعلم وأحكم.

**إضافة هامة:**

قلّما يذم الناس متابعتهم لكرة القدم، واعتبارها العلة العظمى في تعصبهم، وحماقتهم، وسفاهتهم التي تصحب كبرى المباريات. والسبب في ذلك -والله أعلم- هو شيوع التفكير الرغبوي بينهم، حيث يعتقد أحدهم أن لذته التي تتحقق في متابعته لمباريات الكرة = ثمرةٌ حقيقية تُضاف إلى حياته، وتتراكم مع تقدمها. ثم هم مع ذلك ينسجون لها من التصورات الطوباوية النبيلة التي ليست من طبيعتها، ليضفوا عليها كمالًا لا تستحقه. والحق أنها كما يعلمون ضرورةً من أنفسهم نشاطٌ عبثي ليس فيه سوى ضياع الأوقات والجهود والأموال؛ ولا يثمر سوى التعصب المفضي إلى القتال اللفظي والبدني بينهم.

متابعة كرة القدم تعني أن تنحاز فكريًا وعاطفيًا لنادٍ أو أنديةٍ معينة. وهذا الانحياز يكون بالتأييد المتضمن للفرح وقت العز والانتصار، والحزن وقت الذل والانكسار. وهذا مقتضٍ لنقيضه من اعتبار الأندية المخالفة ومشجيعها خصومًا في منافسة ينحصر الفوز فيها في أرباب الأموال، والمدربين، واللاعبين ومن في جملتهم من أعضاء النادي. وليس للمشجعين سوى الصياح في الملاعب، والتقافز من خلف الشاشات.

التعصب زيادةٌ على ذلك كله بما يقتضي ظلمًا بينًا لجماهير الخصم. ولكن هل هناك في الأصل ما يقيد ذلك كله ويمنعه ويجفف منابعه ووسائله؟

فإن كان التعصب ثمرة لغلوٍ في المتابعة، فهل المتابعة نفسها أصلٌ صحيحٌ مقيدٌ بما ينفي الغلو فيه؟

التعصب هو مبالغة في تقدير حجم الكرة. وهي مفضية إلى وضعها في موضعها وفي غيره. ولكن منذ متى كان للكرة موضع يستحق الوضع المستمر؟ وهل هو موجودٌ أصلًا أم هو معدومٌ متخيلٌ كالحد الأدنى الصحي من استهلاك السجائر والمخدرات والخمور؟

أذكر أهل العقل والحكمة ممن ابتلاهم الله بإضاعة قدرٍ من أوقاتهم في متابعة الكرة بأن نفس نشاطهم مفضٍ إلى الحماقة التامة التي لا يرجى بعدها شفاء أو دواء.

على أن تفاوت التأثير في ذلك كله راجعٌ إلى تخلف شروط وقيام موانع كما هو الحال في أكثر الأنشطة الضارة التي لا تكون بمجردها عللًا تامة للضرر والأذى.

البراء بن محمد

كتبه يوم الخميس 1436/12/4هـ - 2015/9/17م

وأعاد تحريره يوم السبت 1438/5/22هـ - 2017/2/18م

## [43]

# البحث المتين في إبطال عبارة إسلام بلا مسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه الكريم.

أمّا بعد،

ففي ظل الألم الذي يعصر قلوب الملايين من المسلمين لما يجري لأمتهم من الذلة والهوان، وضعف الحيلة، وتكالب الأعداء عليهم.

وفي ظل الوجع الذي يعتري الآلاف من المؤمنين الصادقين، لما يرونه من تقدّم دنيوي مهول للكفرة والمشركين، وما صاحبه من كفرٍ بالله وإشراكٍ به.

في ظل ذلك كلّه، خرج نفرٌ من الناس ممّن يأس من النصر والتمكين، ويأس من رفعة الدين، وعلوّه على الكافرين ولو كرهوا ذلك.

خرج ذلك النفر لينشر اليأس والإحباط في عموم الناس، خرجوا وهم يعتقدون أن نهاية الإسلام صارت وشيكة.

فصاروا يرددون العبارات التي تحتوي تلك المعاني السلبية.

**"يا أمةً ضحكت من جهلها الأممُ"، "المسلمون متخلفون وعالة على غيرهم"، "هناك إسلام بلا مسلمين ومسلمين بلا إسلام"، "العرب جرب"**، وغير ذلك من العبارات الشائعة والتي تمرض القلب والنفس.

وهذه العبارات تحمل جزءًا من الواقع، ولكن تكرارها بهذا الشكل يؤدي إلى تبلّد الحس، وموت الأمل، فتنعكس النتيجة المرادة منها إلى النقيض تمامًا.

إن تكرار ما يُسمّى (جلد الذات) لهو مثل الضرب على الشديد على الجِلْد، فيظل المرء يجلد نفسه، ويضربها ويذيقها أقوى السياط، حتى يتورّم الجلد ورمًا شديدًا مستفحلًا، ثم تموت أعصابه، فيظل يجلد جلدًا ميتًا!

من ناحية أخرى، فإن المبالغة والتضخيم في جهود وأعمال الكافرين مرفوضٌ تمامًا، لأن الانبهار الشديد بالآخرين يؤدي للذوبان في أفكارهم ومذاهبهم.

وحديثي هنا هو عن تضخيم جهد الكافر ونفخه، والانبهار به، وهدم الفرضية المعروفة (**إسلام بلا مسلمين**).

إن الكافر بالله مهما عمل في دنياه من الأعمال الصالحة والناجحة، فإنه لم بعد يصل إلى غاية الله من خلقه، وهي الإيمان به وإفراده وحده بالعبادة والخوف والرجاء والمحبة.

لا شك أن عمارة الأرض وبنيانها، مقصدٌ مهم، ولكنه ليس المقصد الوحيد، فما قيمة البنيان إذا لم يكن لمرضاة الله؟

يقول الله تعالى: ((**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوةً وأثاروا الأرض وعمروها أكثر ممّا عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) [الروم/9] . ويقول أيضاً : ((**أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون**)) [الأعراف/100]. ويقول تعالى: ((**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوةً وما كان الله ليعجزه من شيءٍ في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً**)) [فاطر/44].

قال الله: ((**ألم تر كيف فعل ربّك بعاد*إرم ذات العماد*التي لم يخلق مثلها في البلاد**)) [الفجر/6-8].

فما قيمة البنيان والعمران والزراعة والصناعة إن كان أهلها أعداء لله؟

ونحن نرى ما فعل الله بقوم ثمود رغم أنّهم كانوا ينحتون الجبال بيوتًا، ونحن نرى كيف كان بنيانهم على قدرٍ جليل وعظيم من الدقة والجمال والروعة والإحسان.

ورغم أن العلوم الطبيعية كانت متخلفة في ذلك الوقت، ولم يكونوا يملكون من الآلات والأجهزة ما يسهّل عليهم ذلك، إلا أن الله وهبهم النعم

الجزيلة، والآلاء الكثيرة ومع ذلك كفروا به فعاقبهم الله وأنزل عليهم رجزه.

ولو تأملت في الأهرامات (مثلاً) لوجدت فيها من الإعجاز والتميز، ما ليس في غيرها، ولا يزال الناس يبحثون في كيفية بناءها وهندستها.

وكل ذلك الجمال، لم يكن سبباً في تحسين وتجميل أخلاقهم، فبرغم ما أعطاهم الله من مقوّمات للبناء والتمدن، إلا أنّهم كانوا أفسق الناس وأظلمهم وأسوأهم أخلاقًا.

فهؤلاء قوم لوطٍ مثلاً كانوا منكوسي الفطرة قطّاعًا للطرق. قال الله تعالى عنهم: ((**ولوطًا إذ قال لقومه إنّكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحدٍ من العالمين*أئنكم لتأتون الرجل وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين**)) [العنكبوت/28-29].

وقوم شعيب كانوا يخسرون الميزان والكيل، ويبخسون الناس أشياءهم، قال الله تعالى: ((**وإلى مدين أخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلهٍ غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ محيط*ويا قوم أوفوا المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**)) [هود/84-85].

وهكذا دأب كل من ابتعد عن دين الله، فإنه يكون من أفسد الناس وأقبحهم أخلاقًا.

ومهما ادّعى الناس أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى الإسلام، وأن أخلاقهم هي الحكم، فإنّهم يدورون حول أنفسهم وينشدون ضرباً من المثاليات الزائفة والأحلام والأوهام الخادعة.

فما هي المرجعية في الأخلاق إن لم يكن للدين منها نصيبٌ أو جزء؟

وهل تطوّر الإنسان وتقدّمه سيحسّن خلقه، ويبني نفسًا زكيةً محبةً للخير؟

ما رأيناه هو استمرار لنفسية الإنسان الكافر منذ القدم، فهناك المنصف وهناك الجاهل، وهناك الكريم، وهناك اللئيم، وأغلب من ابتعدوا عن الله، لازمهم قبيح الصفات والأفعال.

ومنذ الجاهلية الأولى، وحتى عصرنا هذا انقسمت مواقف الكفّار نحو دعوة التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

1- **المعاداة والمحاربة:** وتمثّل ذلك في مضايقة المسلمين اقتصاديًا واجتماعيًا، ومحاربة دعوتهم بالفكر والمال والسلاح، وتعدّى ذلك إلى الإبادة والقتل.

وهكذا كانت الأقوام السابقة الهالكة، وكذا فُعل بأصحاب الأخدود من الملك الظالم الكافر، وعلى هذا دأب فرعون وجنوده، وأبو جهلٍ وأبو لهب، والفرس، والروم والصليبيون واليهود إلى يومنا هذا.

2- **الموالاة والنصرة:** وتمثّل ذلك في الإحسان إلى المسلمين وإنصافهم، وبيان محاسن دينهم، -وإن لم يلتزم الكافر دين الإسلام- فهو يفعل ذلك وينصر المسلمين ضد عدوهم.

هكذا دأب أبو طالب على نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وحماية دعوته، بل كان يوقن أنّ محمدًا عليه الصلاة والسلام على الحق، ولكن شهواته ورفاق السوء كانوا من أسباب صدّه عن الهدى والحق إلى أن مات على كفره!

ولم تخلُ البشرية في عصرٍ من الأعصار من شريف كأبي طالب، ينصف الإسلام ويحمي دعوته.

3- **الحيرة:** وهو موقف كثيرٍ من الناس ممّن لم يصيبوا نور الهداية والسعادة، وترددوا في ظلمات الكفر والإلحاد، وقد كانوا ينتظرون من ينير لهم الدرب فيبصرهم بالصواب والخطأ، ثم بعد ذلك هم أحرار إن سلكوا أحد الخيارين.

وهذه الحال تكتمل فصولها بعد معرفة الحق والضلال، فيستمر بعض الناس في حيرتهم يغوصون، ولا يعرفون هل يتبعون الحق أمامهم أم يستمرون في الغي والضلالة؟

بعد ذلك، إمّا أن يوفقهم الله لسلوك درب الخير والنجاة، أو يكلهم لنفوسهم وشيطانهم فيغرقون ويحترقون.

إنّ هذه البشرية لن تصلح إلا بالإسلام وحده، حتى ولو بلغت أقصى درجات الرفاهية والمدنية!

أما الادعاء بأن تطور الإنسان الصناعي والاجتماعي سيحسن أخلاقه، ويهذب نفسه، فهو كذبٌ وبهتان ينقضه التاريخ.

ففي نفس الوقت، الذي استطاع الإنسان (الكافر) فيه التحليق في السماء، وشق الأجواء، كان يقوم بقصف الأبرياء والمساكين، وما قصف ألمانيا للندن، وقصف الحلفاء لألمانيا، وضربة هيروشيما وناجازاكي ببعيد.

وفي الوقت الذي استطاع فيه الإنسان، اختراق الفضاء، واختراع الحاسوب، كان يزيد في اختراع أسلحة الدمار الشامل، وبشتى الطرق والوسائل لضمان أسهل الوسائل لقتل الآخرين!

لسنا أصحاب ذاكرة ضعيفة، نحن نتذكر ما جرى في الجزائر وليبيا والعراق وفلسطين والبوسنة والهرسك والشيشان وأفغانستان والهند. كل ذلك نتذكره ونعرفه جيدًا، فهي جروح عميقة وغائرة لدى المسلمين.

لا فرق بين الإنسان الكافر المعاصر في جبروته وطغيانه وبين نيرون ذلك الحاكم المجنون الذي أحرق روما على أنغام الموسيقى، وقاده جنونه إلى الانتحار فيما بعد!

ولست بحاجة لتكرار أرقام المجازر والمذابح التي حدثت خلال القرنين الماضي والحالي،

من كل هذه المقدمة، نستنتج أن العالم لا يصح له سوى الإسلام حاكمًا ومذهبًا وحكمًا.

ونستنتج أيضاً أن فساد العالم وخرابه، يأتي إذا حكم الكفر والشرك على حياة الناس.

**فهل يصح أن نقول أنّ هناك إسلامًا بلا مسلمين ومسلمين بلا إسلام؟**

بالنظر إلى هذه العبارة لأول وهلة، فهي صحيحة عند بعضهم، لأن الإسلام خذله أبناؤه، وقام الكفّار برفع قيم الإسلام وتعاليمه عندهم، فالمسلمون فقدوا إسلامهم، بينما الكفّار وصلوا إلى مقاصد الإسلام دون اعتناقه.

**ولكنّها عند التأمّل، فاسدةُ المعنى تمامًا، لعدّة أسباب:**

1- **العبودية لله هي الأساس:**

قبل كل عمل، وقبل كل مشروع، يجب أن تكون النية لله وحده، بحيث تكون الحياة والممات، والعبادة والعادة كلّها لله وحده لا شريك له في ذاك.

وقد وصل نبي الله إبراهيم عليه السلام إلى هذه المرحلة العميقة من اليقين عندما قال: ((**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين*لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أوّل المسلمين**)) [الأنعام/162].

فصارت الحياة كلّها لله من مبدئها إلى منتهاها، فهي خير حياة قط. فالعبودية لله هي أعظم المقاصد على الإطلاق، وهي أعظم المصالح كذلك، والكفر به أعظم المفاسد.

وحتى ولو أحسن الكافر طيلة عمره ولم يعبد الله أبدًا، فإن جزاء إحسانه محصور في الحياة الدنيا، ولن يجد منه شيئًا في الآخرة لأنه لم يجعل عبوديته وذلته لله وحده.

وفي صحيح مسلم، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: ((**يا رسول الله! ابنُ جدعان كان في الجاهلية يصلُ الرِحم. ويُطعم المسكين. فهل ذلك نافعه؟**)) قال: ((**لا ينفعه. إنّه لم يقُل يوماً: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**)).

2- **نظرة الكافر للدنيا والآخرة، ونظرة المسلم لهما:**

قد قال الله في كتابه: ((**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يُبخسون**)) [هود/15] ، وقال أيضًا: ((**من كان يريد العاجلة عجّلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنّم يصلاها**

**مذمومًا مدحورًا**)) [الإسراء/18] وقال عزّ من قائل: ((**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**)) [الشورى/20].

فالمؤمن الصادق هو الذي يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة، وإن كان قلبه معلقاً بالآخرة لأنها الباقية وما سواه فانٍ.

قال الله تعالى: ((**ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار**)) [البقرة/201].

والكافر نظره للدنيا محصور، وعن الآخرة مقصور، فهو يعمل في الدنيا كل جهده، لتحقيق شهوته أيّاً كانت (المال-النساء-الشهرة-...إلخ).

وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((**الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر**)) [رواه مسلم].

فالدنيا جنة الكافر باعتبارين: الأول: أنّها غايته الوحيدة، وأمله الفريد، فيظل يبني ويعمل لها فقط، ويحاول أن يعمرها دون النظر إلى الآخرة[1] أبدًا. الثاني: أنّها بالنسبة لما يستقبله من العذاب والوعيد جنة، فآلامها وأوجاعها لا تُقارن بألم الآخرة وعذابها.

فلاختلاف نظرة المسلم للدنيا مع نظرة الكافر، استحالت التسوية بينهما، فمن ينظر للدنيا على أنّها الفرصة الوحيدة والغاية الكبرى، ليس كمن ينظر لها على أنها رحلة مؤقتة نحو الخلود الدائم السرمدي!

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**حُفّت النار بالشهوات وحُفّت الجنة بالمكاره**)) [متفق عليه].

## 3- الفرع مرتبط بالأصل:

إن المرجعية العليا للأخلاق والقيم هي شريعة الله، وذلك لأنّها كاملة ومصونة عن النقص والتحريف، كما أن الله عزوجل أرحم بعباده من أنفسهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((**لله أرحم بعباده من هذه**

[1] قال الله تعالى: ((**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلةٍ معرضون**)) [الأنبياء/1]، هذا إن لم نضع في الاعتبار تكذيب الكافر للدار الآخرة.

**بولدها))** [رواه البخاري] ، والله عزوجل أعلم بما يصلح للإنسان فهو خالقه ورازقه.

لذلك فإن معرفة حقيقة الأخلاق يحتاج لإرجاعها لشريعة الله، للحكم عليها بأنّها حق وخيرٌ أو باطلٌ وزيف. وليس هذا تقليلًا من عقل البشر، إذ أن عقل الإنسان يعرف الخير والشر إجمالًا، ولكنه يتيه عند الخوض في التفصيلات. فوجب الرجوع إلى شريعة حاكمة تبين للناس ما اختلفوا فيه، ولن نجد شريعة أكمل من شريعة الله عز وجل.

قد يقول قائل: إن هؤلاء الكفّار، قد أقاموا بعض تعاليم الإسلام وقيمه العليا، كالعدل، والحرية، والعمل، ولذا نقول بأنهم طبقوا الإسلام من غير أن يسلموا.

وأقول: إنّه لا يوجد عدلٌ كامل إذا لم يرتبط بتوحيد الله. وأكبر أنواع الظلم هو الشرك بالله والكفر به.

فالظلم هو وضع الأمر في غير موضعه، والكفر بالله، وتأليه البشر، هو أسوأ أنواع الظلم وأقبحها.

ثم إن هؤلاء الكفرة أقاموا بعض تعاليم الإسلام لا على الأصل (وهو توحيد الله) بل على أهوائهم وآرائهم. فما أقاموا سوى بنيانٍ ناقصٍ متهافتٍ، وهم ممن يطبق بعض تعاليم الإسلام بجزءٍ كبير من التحريف!

فالحرية عندهم أن تلبس ما تشاء، وتعتقد ما تشاء، وتتكلم بما تشاء، أما حدود حريّتك فإنها تتوقف عند حرية الآخرين.

وليس الله عز وجل عندهم ممّن تتوقف حرياتهم عند حدوده، لذلك تجدهم يبالغون في الكفر به والاستهانة بشرعه، وترك أوامره، والوقوع في نواهيه.

وبتلك الحدود الهلامية لمعنى الحرية[1] هُتكت الأستار، وانتشرت الفواحش والآثام، وانتشر الكفر والإلحاد، بل وانتشر القتل والإفساد أيضًا! (وهذا لا

[1] أقصد (أن تتوقف الحرية عند حدود الآخرين) والأصح أن يقال تتوقف الحرية عند حدود الله. راجع (فضاءات الحرية) العميري.

يعني أنّهم قد عدموا الخير من كل وجه بحدودهم هذه، ولكن دس السم مع العسل ليس خيرًا!).

أليست حرية الغرب هي التي كانت سببًا في تدمير دول العالم الأخرى -التي يسمونها العالم الثالث- ونهب ثرواتهم، ومحاولة استعبادهم اقتصاديًا وفكريًا؟ (لاحظ أن حريتهم لم تتوقف عند حدود الآخرين، بل تجاوزت كل الحدود والقيود!).

فكيف نقول عن قومٍ كفروا بالله وألحدوا به أنّهم أقاموا الإسلام لمجرّد قيامهم بأمر أو أمرين من الفروع التي جاء الإسلام بها؟ هذا على فرض ممتنع وهو أنهم أقاموها على الوجه الذي يرضي الله عز وجل. ثم إنهم كفار بالله، وكفرهم يزيل كل خير فعلوه.

وإذا ذهب الأصل، ذهب معه الفرع كما هو معلوم.

## 4- تناقض الكفّار الصريح:

مع مكابرة الكفّار وصدودهم عن الحق، وطغيانهم الشديد، إلا أنّهم يأبون إلا فضح تناقضهم القوي مع قيمهم التي يزعمونها.

وهكذا في كل حربٍ خاضها أعداء الله ضد الموحدين (أو حتى ضد غيرهم من البشر) كانوا يتناقضون مع ما يقررونه من أفكار ومفهومات.

فالنصارى الصليبيون الذين اشتهر عن شريعتهم[1] السماحة والعفو والبساطة، ارتكبوا أبشع المجازر باسم المسيح عليه السلام (وهو منهم براء) خلال تاريخهم الدموي الطويل.

فما جرى في الحملات الصليبية الشرسة ضد المسلمين ومقدّساتهم خلال قرنين من الزمان(من 492هـ-690هـ)، يحكي واقعًا مريرًا حيث قتلوا أكثر من 70 ألفًا في بيت المقدس[2]!

[1] مما يُذكر في إنجيلهم المحرف : "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر" (إنجيل لوقا 29:6)، لكن الظاهر أنّهم طبّقوها ضد غيرهم!
[2] كما ذكر ذلك الإمام ابن كثير في تاريخه وكذلك ابن الأثير.

وما ارتكبوه ضد مسلمي الأندلس من مجازر ومذابح، بل حتى اليهود لم يسلموا من شرّهم[1]!

وما ارتكبوه ضد الهنود الحمر (الوثنيين) من مجازر دامية لا يُنسى، بل هو مسطور عند أحد قساوستهم[2].

ورغم أن أوروبا بدأت بنبذ الدين تمامًا بعد الثورة الفرنسية المعروفة، وبدأت بترسيخ قيم العدالة والإنسانية والحرية (زعموا)، وكان ذلك طريقًا لبناء القيم العالمية ممثلةً في هيئة الأمم المتحدة.

إلا أنّها لم يكفّوا عن احتلال العالم ونهب ثروات الآخرين وتقتيلهم، سواءً في بلاد الإسلام أو غيرها.

ورغم تعارض ذلك مع ما يرفعونه من مبادئ، إلا أنّهم في غيّهم يستمرون ويعمهون.

وجاءت أمريكا بدستورها الذي يملأ الأرض خيرًا وعدلًا (زعموا)، فأذاقت العالم من شرورها من اليابان إلى فيتنام مرورًا بأفغانستان والعراق، والسودان، لقد زرعت سنابل الحرب والدمار في كل شبرٍ حلّته.

وما قيام دويلة الكيان الصهيوني الخبيثة، والتي تعتبر اعتداءً صريحاً على سكّان البلاد وأرضهم، ببعيدٍ عنا أو غائبٍ عن الذاكرة.

باختصار، فتناقض الكفرة مع أنفسهم باستمرار، يجعلنا نقطع بأن قولنا عنهم (**إسلام بلا مسلمين**) هو جورٌ في القول ووضعه في غير موضعه، فهو مثل تقليد الخنزير قلائد الذهب والفضة!

**"ووضع الندا في موضع السيف بالعلا *** مُضرٌ كوضع السيف في موضع الندا"**

[1] راجع للأهمية كتاب (مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس) للدكتور محمد علي قطب.

[2] كتب القسيس بروتولومي دي لاس كازاس رسالةً إلى ملك إسبانيا عن الفظائع التي جرت في أمريكا الشمالية، واسم رسالته (المسيحية والسيف) كما في ترجمتها.

## الخلاصة:

أبطلت بحمد الله مقولة (إسلام بلا مسلمين) وذلك لأربعة اعتبارات:

1- العبودية لله هي الأساس

2- نظرة الكافر للدنيا والآخرة ونظرة المسلم لهما

3- الفرع مرتبط بالأصل

4- تناقض الكفّار الصريح

بقي أن أذكر بعض النقاط الهامة في نهاية هذا البحث الصغير:

1- إن التخلف الشديد للمسلمين، لا يجيز لنا بحالٍ من الأحوال أن نتذلل للكفار أو نبتغي العزة بغير كتاب الله وسنة نبيه، فالله عزوجل نهانا عن الحزن فقال: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)) [آل عمران/139]. ونهانا الله عن اليأس والقنوط من رحمته: ((**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله**)) [الزمر/53]. ونهانا الله عن تبديل صراطه المستقيم: ((**وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم**)) [محمد/38]. ونهانا عن ابتغاء العزة عند غيره: ((**الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً**)) [النساء/139].

2- يجب رفع الروح المعنوية لدى المسلمين وتبشيرهم بالنصر والتمكين إذا تمسّكوا بالدين، فهذا كتاب الله مليئٌ بتبشير الله لعباده المتقين بالتمكين لهم في الأرض، وجنات النعيم والخلد. وهذه السنة النبوية المباركة قد حُشدت بمئات النصوص في ذلك، وهكذا دأب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع المؤمنين.

ففي الوقت الذي كان فيه الصحابة في أشد الخوف من هجوم المشركين عليهم في المدينة[1]، كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشرهم بالنصر

[1] وذلك في غزوة الأحزاب سنة 5هـ

والتمكين، ويبشرهم بفتح البلاد، فتيقنوا ذلك، ولم يهزأ سوى المنافقين الذين لم ينظروا أبعد من أنفهم!

على أنّ رفع المعنويات وتبشير النفوس، يجب أن يكون على وفق الكتاب والسنة لئلا يؤدي للتواكل وترك العمل، أو يؤدي لنشر الخرافات والأكاذيب.

3- وعد الله حقٌ لا مريّة فيه، وسينتصر المسلمون ولو بعد حين، هذا ما يجب أن يعيه كل مسلم، وأن يضعه نصب عينيه. ويجب أن نصبر لتحقيق وعد الله.

قال الله تعالى: ((**فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون**)) [الروم/60].

فإذا كان الله تعالى قد أمر أنبياءه (وهم سادة الخلق وأولياء الله وأعلى الناس إيماناً ويقيناً به) بالصبر والعمل وتوكيد وعده. فنحن مأمورن من باب أولى.

أو يصبر أحدنا على شجرةٍ يزرعها أو بيتٍ يبنيه أو ولدٍ يربيه ولو طال ذلك سنينًا وعقودًا، ولا يصبر بعض تلك المدة لأجل رفعة الدين ونصره؟

4- قد لا نكون من جيل[1] النصر والتمكين، ولكن يجب علينا أن نسعى لذلك ونربي الجيل القادم ليحمل الراية منا ويواصل سيرنا. فنموت ونستشهد وقد زرعنا البذرة، ورعيناها، حتى ولو لم نشاهدها لاحقاً وهي شجرة كبيرة ذات ظلال وارفة، وثمار يانعة.

أقبل رجلٌ ما على الزراعة رغم تقدمه في السن، فمر به غلامٌ صغير فسأله عن ذلك، فأخبره أن زراعة الأجداد للأشجار كانت سبباً لأكله هو وجيله. وهكذا هي الحياة.

وقد قال الله تعالى: ((**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**)) [الحجر/99]، فالعمل العمل حتى ينتهي الأجل.

---

[1] ما زال في الجيل الحالي والسابق خيرٌ وبركة، ويجب أن يعملوا حتى يأتيهم اليقين، ولكن كلامي في حال عدم مجيء النصر.

ولو تأمّلت قصة أصحاب الأخدود لوجدت هذا المعنى صريحًا جليًا. لقد انتصروا على عدوهم حتى وإن أحرقهم، وأفناهم عن بكرة أبيهم. إن ثباتهم على الدين، برغم المغريات والعوائق لهو أكبر دليل على انتصارهم وعلوهم على ذلك الملك الكافر الذي سيلقى الله بجرمه المشهود.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، واجعلنا ممن يرفع لواء الدين وينصره!

والحمد لله رب العالمين.

كتبه: أبو مالك المغترب

في قلب ماليزيا

ليلة السبت 24 شوّال عام 1434هـ 31 أغسطس 2013م

## [44]

# تزيين البحث المتين

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وآله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد، فقد فتح الله علي قبل عامٍ وأرشدني للكتابة في موضوع جليل القدر وعظيم الأهمية، وهو بحثٌ صغير في إبطال عبارة (**إسلام بلا مسلمين**) والتي انتشرت كالنار في الهشيم بين الكثير من الناس.

ورأيت أن لها آثارًا سلبية كثيرة، كما أنها باطلة في ذاتها، وذلك لاعتبارات ذكرتها في الرسالة التي أسميتها (**البحث المتين في إبطال عبارة إسلام بلا مسلمين**).

بالإضافة إلى أن تكرار هذه العبارة هو من بواعث الهزيمة النفسية[1] التي غزت بلاد الإسلام، وأوهنت قوى المسلمين، وكانت سببًا في تسلط أعداء الله الكافرين عليهم.

رغم أن الله قد نهانا عن المهانة والحزن المفضي إلى قتل الأمل وترك العمل، فقال جل شأنه: ((**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)) [آل عمران/139].

نحن الأعلون إن كنا مؤمنين بالله ووعده الحق، ودينه الصدق.

ونحن الأعلون إن ابتغينا العزة من مصدرها الأصيل ((**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون**)) [المنافقون/8]. ((**من كان يريد العزة فلله العزة جميعًا**)) [فاطر/10].

والحديث عن عزة المؤمنين، وعن خطورة الاستسلام والانهزام يطول ويستحق أن يُفرد في كتبٍ ومجلدات، ولكن ليس هذا موضعه، إنما الحديث هنا عن عبارة إسلام بلا مسلمين وخطورتها وكذبها.

[1] ألهمتني محاضرة الدكتور عبدالله الخاطر رحمه الله (الهزيمة النفسية عند المسلمين) كتابة البحث المتين.

وليس الهدف هنا هو بحث مقاصد ومنطلقات قائلي هذه العبارة، إذ قد يقصدون الخير والإحسان بها، ولا يكونون من أهل الانهزام والانبطاح، ولكن لقلع هذه العبارة من جذورها، وهدم البنيان من أساسه.

وحتى لا أعيد ما قلته في البحث سابقًا، فهذه تعليقاتٌ وحواشٍ رأيت إضافتها لإثراء محتوى البحث، وتزيين مبناه، وترسيخ وتقوية معناه.

ولذلك اخترت من البحث المكتوب، بعض المواضع التي تستحق الوقوف والتعليق عليها.

سائلاً الله عز وجل أن يبارك لي فيما كتبته، ويجعله نورًا وضياءً لنا، وطريقًا للخير.

"نحن وراثٌ هداةٌ للبشر

نحن عند الحق سرٌ مدّخر

لا تزال الشمس تبدى نورنا

غيمنا فيه بروقٌ وسنا

ذاتنا المرآةُ للحقِ اعلمِ

آيةُ الحقِ وجود المسلمِ"

الأديب المسلم محمد إقبال رحمه الله

## التعليقات

**الموضع الأول: "ففي ظل الألم الذي يعصر قلوب الملايين من المسلمين لما يجري لأمتهم من الذلة والهوان، وضعف الحيلة، وتكالب الأعداء عليهم. وفي ظل الوجع الذي يعتري الآلاف من المؤمنين الصادقين، لما يرونه من تقدّم دنيوي مهول للكفرة والمشركين، وما صاحبه من كفرٍ بالله وإشراكٍ به".**

**التعليق:** التخلف الشديد الذي يعانيه المسلمون في كافة المجالات العلمية والفكرية والصناعية لا ينكره منصفٌ، وهو واقعٌ يجب أن ندركه حتى نصحح مسيرنا، ونمضي في المسار الصحيح حيث يجب أن نكون.

وبعد إدراك الواقع، يكون العمل على تغييره وتبديله للأفضل والأحسن، فمجرد إدراك ألم الواقع وسوئه ليس كافيًا لبعث الحياة في الجسد المريض، وإن كان الإدراك في مجمله خيرًا من انعدامه وتبلّد الحس.

**الموضع الثاني: "إن الكافر بالله مهما عمل في دنياه من الأعمال الصالحة والناجحة، فإنه لم يصل بعد إلى غاية الله من خلقه، وهي الإيمان به وإفراده بالعبادة والخوف والرجاء والمحبة"**

**التعليق:** من الحقائق القطعية اليقينية وجود إلهٍ واحدٍ عادلٍ له القدرة والقوة المطلقة، ويتصف بكل صفات الكمال المطلق، وينتفي عنه كل نقيصةٍ وخلل.

وقد فطر الله عباده على الإقرار بوجود خالقٍ عظيم لهذا الكون الممتد، وجعل هذه الفطرة مستقرةً في داخلهم، وإن كانت وحدها لا تكفي للوصول إلى عبادة الله الحق سبحانه وتعالى[1].

يقول تعالى: ((**فأقم وجهك للدين حنيفًا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**)) [الروم/30].

---

[1] وفي ذلك يقول الإمام جمال الدين القاسمي رحمه الله: "لأن الشعور بوجود الله تعالى، والإذعان بخالقٍ قادر فوق المادة محيطٌ من وراء الطبيعة أمر غرزي في الإنسان مفطورٌ عليه، لا تغيره ريب المرتابين، ولا تزلزله شكوك المتشككين"
(دلائل التوحيد، جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، ط1 1405هـ-1984م، ص23).

فأرسل الله أنبيائه عليهم السلام هداةً للناس إلى صراطه المستقيم، ونصب الدلائل على ذلك من معجزاتٍ حسية ومعنوية، يخضع لها العقل ويقبلها مذعنًا مقرًا بما فيها.

قال تعالى: ((**رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل، وكان الله عزيزًا حكيمًا**)) [النساء/165] ، وقال جل في علاه: ((**إنا أرسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم**)) [البقرة/119].

فكان نور النبوة هاديًا -بإذن الله- للناس من ظلمة الشرك[1] والإلحاد التي أحاطت بحياتهم وتصوراتهم.

وكانت معجزة الله الخالدة هي قرآنه الكريم، الذي أحكمت آياته، فكانت نورًا ونجمًا للمهتدين.

ومن هنا قال الله عز وجل: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)) [الذاريات/56].

فكانت غاية خلق الإنسان هي توحيد الله وإفراده بالعبادة والمحبة الخالصة، وكذلك الخوف والرجاء والتوكل وغيرها.

فإذا ابتعد الإنسان عن تحقيق هذه الغاية فقد ضل عن طريق الحق، وزل عن اتباع منهج الصدق.

**الموضع الثالث: "ومهما ادّعى الناس أنهم ليسوا بحاجةٍ إلى الإسلام، وأن أخلاقهم هي الحكم، فإنّهم يدورون حول أنفسهم وينشدون ضرباً من المثاليات الزائفة والأحلام والأوهام الخادعة. فما هي المرجعية في الأخلاق إن لم يكن للدين منها نصيبٌ أو جزء؟"**

**التعليق:** عندما نتحدث عن الإسلام فنحن لا نتحدث عن منهجٍ فكري وضعي، أو مبادئ أخلاقية مجرّدة، ولكننا نتحدث عن حقيقة أنزلها الله إلى عباده، وفرضها عليهم، وأقام الدلائل القطعية على صحتها وعلى بطلان ما يخالفها ويناقضها.

[1] أبطل الله قول المشركين بتعدد الآلهة في قوله: ((**ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون**)) [المؤمنون/91]. وأبطل تعالى حجة الملحدين في قوله: ((**أم خلقوا من غير شيءٍ أم هم الخالقون**)) [الطور/35].

إنه دينٌ كاملٌ يحوي الأخلاق والعبادات والمعاملات بين الناس، ولم يأتِ لبناء جانبٍ من جوانب حياةِ الإنسان وإغفال بقية الجوانب.

يقول الله تعالى: ((**ونزّلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء**)) [النحل/89]، فهو تبيان لكل شأن من شؤون الإنسان.

وهذه الحقيقة وعاها جيل الصحابة الطيّب الفريد حيث قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "**أُنزِل في هذا القرآن كل علمٍ وكل شيءٍ قد بُيّن لنا في القرآن**"[1].

إذا آمنّا يقينًا بأن هذا الدين العظيم هو من الله العزيز الحكيم، فإننا سنؤمن لِزامًا أن شريعته حقٌّ مطلق، ومن خالفه فقد سلك سبل الغواية والضلالة.

وإيماننا القوي بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، سينعكس إيجابًا على إيماننا وتمسكنا بشرائعه وأحكامه.

فالله سبحانه مستأثرٌ بالحكمة البالغة، والعلم المطلق الذي لا يلحقه جهلٌ ولا نسيان. ((**وإنك لتُلقّى القرآن من لدن حكيمٍ عليم**)) [النمل/6][2].

وأما الإنسان فهو مخلوقٌ ضعيف[3] يعتريه الجهل والنقص والظلم والنسيان، ومهما سما بعقله في السماء وحلق فيها، فإن شهواته الداخلية المضطربة، قد تدمره وتهلكه، ما لم يبادر بضبطها وتقييدها.

وما لم تُقيِّد الإنسان شريعة الإسلام السماوية الخالدة، فإن بقية القيود التي يضعها، لن تفلح في ردعه عن الإسراف والإغراق في شهواته وملذاته ولو كان ذلك على حساب الحق المبين.

فلو انفلت قيد القانون، أو تغيرت بيئة الإنسان ومجتمعه، أو غُسِل دماغه وأفكاره، فإن قابلية الإنسان للانحراف تزداد وتتسع.

---

[1] رواه الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره، وكذلك ابن عطية.
[2] وقد اقترنت الحكمة مع العلم في مواضع كثيرة من كتاب الله.
[3] يقول الله تعالى: ((**وخلق الإنسان ضعيفًا**)) [النساء/28].

يحدث أن تجد إنسانًا يسرق وينهب محلاً تجاريًا، مستغلاً ضعف الحماية، أو وجود الثغرات القانونية، مع أنه لم يفكر يومًا في السرقة، ولكن لأن بشاعة السرقة وحرمتها مرتبطة بوجود رادعٍ قانوني، فإنها تزول بزواله.

ما علاقة الإيمان بالله واليوم الآخر بتصرفات الناس وأخلاقهم؟

هذا ما نجيب عنه في موضع قادم.

**الموضع الرابع: "وهكذا كانت الأقوام السابقة الهالكة، وكذا فُعل بأصحاب الأخدود من الملك الظالم الكافر، وعلى هذا دأب فرعون وجنوده، وأبو جهلٍ وأبو لهب، والفرس، والروم والصليبيون واليهود إلى يومنا هذا"**

**التعليق:** يتحدث المؤلف هنا عن مواقف الكافرين تجاه المسلمين ودعوتهم، وتحديدًا الموقف الأبرز وهو المعاداة والحرب، إلى جانب موقفي الحيرة والموالاة والنصرة.

والكافرون يحاربون المسلمين الموحدين ودينهم، لأن الإسلام يضبط شهوات الإنسان وينظمها، وهذا عكس ما يريده الجاهليون الظلاميون من الانفلات وإطلاق العنان لشهواتهم الكامنة ومصالحهم الشخصية المحضة.

قال الله تعالى: ((**والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيمًا**)) [النساء/27].

وفي ذلك يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: "**ويريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها. ((أن تمليوا)) عن أمر الله تبارك وتعالى، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم وركوبكم معاصيه. ((ميلاً عظيمًا))، جورًا وعدلاً عنه شديدًا**"[1]اهـ

ورغم ذلك، يشير القرآن الكريم إلى حقيقة الحياة الدنيا وشهواتها، وأنها زائلة و(متاع) كما قال الله تعالى: ((**زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المئاب**)) [آل عمران/14].

[1] (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر ، ط1 1424هـ-2003م، الجزء السادس، ص621-622).

ورغم تحذيرات القرآن المتكررة من اتباع الشهوات، فإن أهل الكفر يقفون في الجانب المقابل، حيث يتمسكون بشهواتهم حتى الرمق الأخير، والسر في ذلك هو رفضهم وكفرهم بالدار الآخرة، والبعث بعد الموت، ويلخصون منطقهم المادي في عبارة: "**أرحامٌ تُدفع وأرضٌ تبلع**"[1].

**الموضع الخامس: "وحتى ولو أحسن الكافر طيلة عمره ولم يعبد الله أبدًا، فإن جزاء إحسانه محصور في الحياة الدنيا، ولن يجد منه شيئًا في الآخرة لأنه لم يجعل عبوديته وذلته لله وحده".**

**التعليق:** إن الدنيا مزرعة الآخرة، وهي محل الاختبار والتكليف، فمن انشغل عن اختباره وتكليفه بواجباتٍ أخرى أو أعمال لا علاقة لها بتكليفه، فإن فشله في الاختبار عائدٌ عليه بالدرجة الأولى، وهو المتسبب في الإهمال والتقصير.

ومن عدل الله سبحانه وتعالى أن يعطي الناس على قدر أعمالهم وبذلهم وسعيهم، وقد يمنعهم لحكمةٍ بالغة، فلو أوتي الإنسان كل شهواته ورغباته في الدنيا، لما كان للابتلاء معنى وقيمة.

ولو أعطى الله كل إنسانٍ ما تمناه في الدنيا عاجلاً، لفسدت الأرض وتعذر العيش، ولتسلط الناس بعضهم على بعض، ولبغوا في الأرض[2].

يقول الله تعالى: ((**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدرٍ ما يشاء إنه بعباده خبيرٌ بصير**)) [الشورى/27].

فالله لم يخلق الحياة الدنيا نعيمًا مقيمًا، بل جعل فيها الابتلاءات والمصائب التي تتخلل حياة الإنسان، فيسير طوال حياته بين نعمةٍ ونقمة، ومنحةٍ ومحنة حتى يأتي أمر الله.

قال الله تعالى: ((**لقد خلقنا الإنسان في كبد**)) [البلد/4]، والكبد هنا تعني الشدة والمشقة كما فسرها جمعٌ من المفسرين[3].

---

[1] يحكي الله سبحانه وتعالى عنهم قولهم: ((**وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين**)) [الجاثية/24].

[2] إن أحلام الإنسان وطموحاته لا محدودةٌ كمًا وكيفًا، وحياتنا الدنيا ومواردها محدودةٌ كمًا وكيفًا، وإن الإنسان ليسعى بأقصى جهده وفكره أن يحقق أحلامه اللامحدودة، ويحفّزه على العمل أكثر محدودية الموارد والتي تقوده أحيانًا للصراع مع غيره عند فقدانها.

[3] انظر تفسير الطبري وأبي حيان ونقلاه عن ابن عباس والحسن البصري وقتادة وغيرهم.

فمن سعى لهذه الدار الفانية، وكرس جهده في تحصيلها، وكفر بموعود الله والدار الباقية، فإن الله يعطيه على قدر سعيه، وربما يمنعه ذلك زجرًا وتأديبًا له.

**"زيادة المرء في دنياه نقصانُ *** وربحه غير محض الخير خسران"**

**الموضع السادس: "فلاختلاف نظرة المسلم للدنيا مع نظرة الكافر، استحالت التسوية بينهما، فمن ينظر للدنيا على أنّها الفرصة الوحيدة والغاية الكبرى، ليس كمن ينظر لها على أنها رحلة مؤقتة نحو الخلود الدائم السرمدي!"**.

**التعليق:** يعيش المسلم مع نصوص الوحي، ومنها يستمد تصوره ومعتقده عن الحياة والغيب، وهي التي توجه سيره في الحياة الدنيا.

يرشد الله عباده المؤمنين إلى حقيقة هذه الحياة الدنيا وزوالها فيقول تعالى: ((**كل من عليها فانٍ*ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**)) [الرحمن/26-27]، ويقول سبحانه: ((**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيمًا تذروه الرياح وكان الله على كل شيءٍ مقتدرًا**)) [الكهف/45].

وحقيقة زوال الدنيا، وقِصر الأجل فيها، يشترك المؤمن والكافر في إدراكها، والبرُّ والفاجر، والصغير والكبير، ولكن هذا الإدراك يكون أقوى لدى المؤمنين بالله، بحكم إيمانهم بالغيب واليوم الآخر.

يرى المؤمن الحياة الدنيا ممرًا للآخرة، وليست هي حياته الحقيقية، ولكنها رحلة اختبار.

ويتذكر الوصية النبوية لعبدالله بن عمر رضي الله عنه: ((**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل**)) [رواه البخاري].

**"ولم تُخلق لتعمرها ولكن *** لتعبرها فجِدّ لما خُلقتا"**

ولا يُفرِط المؤمن في أخذ نصيبه الدنيوي أو يُفرِّط، لأنه يعلم أنها مزرعة الآخرة، وأن عمران الآخرة الحقيقي، مبنيٌ على أساسياته الدنيوية.

فهو إذن لا يطغى مثل طغيان قارون الذي قال عن مال الله الذي وُهبه: ((**إنما أوتيته على علمٍ عندي**)) [القصص/78]، وإنما يقول مثل أولئك المطمئنين: ((**وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**)) [القصص/77].

وأهم شقٍ في الزهد هو: (**الإيمان باليوم الآخر**).

إن الكافر بالله قد يصبر ويكون زاهدًا متقشفًا متحملاً لنوائب الدهر ومصائبه، ولكن هل تنبعث الطمأنينة الكاملة في قلبه مثل المسلم؟

إنه قد يصبر دهرًا طويلاً ويموت على ذلك، ولكن تعاسةً خفية تكتنف قلبه وتغطيه، كيف لا وهو يعتقد أن هذه الحياة الدنيا هي حياته الوحيدة، ولا مرد له بعدها.

تصوّر نفسك مكان الكافر -عياذًا بالله- لحظةً واحدة، وتدبر مآلك وأنت تعتقد أن حياتك هذه هي الحياة الوحيدة؟

نعم قد تموت بعد عمرٍ طويل أمضيته في اللعب واللهو والرفاهية، ولكن ماذا إن كنت فقيرًا مُعدمًا؟ أو معاقًا مشلولاً؟ أو مريضًا عاجزًا؟

إن كفر الكافرين بالله واليوم الآخر والقدر، ينعكس سلبًا على حياتهم، ويتفاوت ذلك وفقًا لدرجة كفرهم وتكذيبهم.

فهو إن كفر بالله، فقد حرم نفسه الالتجاء إلى القوي العزيز وقت الشدائد والمحن، وجحد نعم الله عليه. وهو بذلك يربط رزقه ونعمته بوجود الأسباب المادية وحدها، وينسى فضل الله ورحمته وكرمه الغزير الذي أوجد كل هذه الأسباب.

وإن كفر باليوم الآخر، فقد عَدِم الغاية العظمى في حياته، ولو عاش حياته الناقصة هذه، فلن تكفيه لتحقيق كل أحلامه وطموحاته. فالعمر قصير، والآفات تحيطه وتنهشه من كل جانب.

وإن كفر بالقدر خيره وشره، فإما أنه سيؤمن بالجبر، وأنه مُجبرٌ على أفعاله، وهو بذلك يلقي عبء المسؤولية عنه، فيصير عاجزًا اتكاليًا. أو ينسب شر أفعاله وأقواله إلى الله لينفي عن نفسه سوء الخطأ والمعاصي.

أو يتسخط باستمرار على المصائب التي تنزل عليه، فتسوء نفسيته وتمرض كثيرًا.

ولا يعصمه من كل ذلك إلا الإيمان الصادق بالله.

**الموضع السابع: "قد يقول قائل: إن هؤلاء الكفّار، قد أقاموا بعض تعاليم الإسلام وقيمه العليا، كالعدل، والحرية، والعمل، ولذا نقول بأنهم طبقوا الإسلام من غير أن يسلموا".**

**التعليق:** لا يبعد أن يحقق بعض الكافرين شيئًا من مقاصد الإسلام وغاياته الحسنى مثل العدل والإحسان، ومساعدة الناس وغيرها.

والواقع المُشاهد أننا نرى نسبة كبيرة من الكافرين قد حققوا مقاصد حسنة وعظيمة أتى بها الإسلام مثل: العدل وتيسير المعيشة، نقول ذلك إنصافًا لهم حتى لا نغمطهم حقهم، بيد أن ذلك لا يبيح لنا نعتهم بالإسلام الذي كفروا به!

إن كل ذلك العمل والجهد آيلٌ للعدم والزوال إن لم يصاحبه إيمانٌ بالله[1]. وإن ظن ظانٌ أن هذه الأعمال الخيّرة ستنجيه من عذاب الله (وحدها بلا إيمان) فهو خاطئٌ وضالٌ قطعًا.

وقد قال الله تعالى: ((**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين**)) [التوبة/19].

فتأمل دلالة هذه الآية التي نزلت على مشركين ظنوا أن أعمالهم الخيرة والطيبة ستغنيهم عن الإيمان بالله، وتجعلهم أفضل من غيرهم.

---

[1] وقد قال الله في سورة الفرقان عن الكافرين المكذبين بلقاء الله: ((**وقدمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثورًا**)) [الفرقان/23].

وغاية خلق الإنسان هي عبادة الرحمن، استنادًا على نص القرآن: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**))[1] [الذاريات/56].

والحد الأدنى من إيمان الشخص بالله يعصمه -بإذن الله- من الخلود في نار جهنم.

وإن كان الحد الأدنى من الإيمان لا يعصم من دخوله النار-عياذًا بالله-.

ففي الحديث النبوي الصحيح: ((**يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودّوا، فيُلقون في نهر الحيا أو الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية))** [رواه البخاري].

لكن الله رغب المؤمنين في المنازل العالية من جنته، وحذرهم من النار وجحيمها مرارًا.

إذن فالمؤمنون الصادقون المتبعون لكلام الله يخشون عذاب الله وجحيمه، ويستعيذون بالله منه، وصفتهم في كتاب الله هي ما حكاه الله عنهم: ((**والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذابها إن عذابها كان غرامًا**)) [الفرقان/65].

وما الفوز العظيم حقيقةً إلا النجاة من النار ودخول الجنة ((**كل نفسٍ ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة <u>فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز</u>**)) [آل عمران/185].

وحتى لا أستطرد بعيدًا أعود فأقول: إن المسلم مهما اجترح واقترف من الكبائر، فإن ذلك لن يخلده في النار بإذن الله، لأنه ضمن الحد الأدنى من مراتب النجاح في الاختبار، والاختبار درجات متعددة، فمنها أعلى الدرجات وأقصاها، ومنها أسفل الدرجات وأدناها منزلةً.

[1] "إن العلماء يجمعون على أن الوظيفة الوحيدة للإنسان في الكون هي عبادة الله، فكل حظوظه الدنيوية، إنما هي منجزة بالتبع مع أصل العبادة، وإنما أتيح من حظه ما يعينه على وظيفته الأساس، وأصل ذلك ومستنده قوله تعالى: ((وما خلقت الجن والإنس إلا ليعدون"
(بلاغ الرسالة القرآنية من أجل إبصار لآيات الطريق، فريد الأنصاري، دار السلام، ط1 1430هـ-2009م، ص109).

والكافر بالله مهما أحسن وأصلح في حياته الدنيا، فإن ذلك لن ينفعه في الآخرة، لأنه ببساطة لم يستعد للاختبار، وإنما انشغل عنه بأمور أخرى. وهو بذلك راسب في الاختبار.

وقد نفى الله سبحانه المساواة بين المؤمنين والكافرين في مآلهم وذلك في مواضع متعددة من كتابه الكريم. فقال سبحانه: ((**أفنجعل المسلمين كالمجرمين*ما لكم كيف تحكمون**)) [القلم/35-36]، وقال تعالى: ((**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**)) [ص/28]، وقال سبحانه: ((**أفمن كان مؤمنًا كمن كان فاسقًا لا يستوون**)) [السجدة/18].

**الموضع الثامن: " ثم إن هؤلاء الكفرة أقاموا بعض تعاليم الإسلام لا على الأصل (وهو توحيد الله) بل على أهوائهم وآرائهم. فما أقاموا سوى بنيانٍ ناقصٍ متهافتٍ، وهم ممن يطبق بعض تعاليم الإسلام بجزءٍ كبير من التحريف!**

**فالحرية عندهم أن تلبس ما تشاء، وتعتقد ما تشاء، وتتكلم بما تشاء، أما حدود حريتك فإنها تتوقف عند حرية الآخرين.**

**وليس الله عز وجل عندهم ممّن تتوقف حرياتهم عند حدوده، لذلك تجدهم يبالغون في الكفر به والاستهانة بشرعه، وترك أوامره، والوقوع في نواهيه".**

**التعليق:** مفهوم الحرية هو من المفاهيم التي يتخبط الناس فيها بكثرة، وذلك بسبب قلة علمهم وضعف فكرهم، أو اتباعهم لأهوائهم.

وليس المقصد هنا ذكر حقيقة الحرية في الإسلام ومقارنته بغيره، فهذا مبحثٌ ناقشه الكثير من العلماء.

ولكن سأضرب مثالاً على التخبط الشنيع في مبحث الحرية، وهو مما وقع فيه بعض المنتسبين إلى الإسلام للأسف!

يقرر بعضهم أن من الحرية الفكرية السماح للتصورات المنحرفة عن الإسلام بالانتشار، والتي ينتجها الملحدون والكافرون وغيرهم.

ولمزيدٍ من الدقة نقول: (السماح بانتشار كتب الإلحاد والوسائل الداعية إليه) وذلك تحت إطار حرية التعبير عن الرأي، وأن منعها هو قمعٌ للفكر والرأي.

وللرد عليهم نقول: هل كل رأي يقوله الإنسان ويتصوره يكون من حقه أن ينشره ويذيعه بين الناس بلا قيود أو ضوابط؟

إن قالوا: نعم، فيلزمهم تمرير كثير من الآراء المنحرفة الظالمة التي تدعو إلى القتل والظلم، والتي تتضمن تزويرًا للحقائق العلمية، وافتراء على الناس، وشهادة زور وبهتان.. وما إلى ذلك.

وإن قالوا: لا، فقد أقروا -إذن- بضرورة وضع ضوابط وقيود لما ينشره المرء، وذلك بألا يكون فيه تجنٍ وإساءة للآخرين، وألا يكون فيه تزوير للحقائق، أو كذب وافتراء.

هل الإسلام حقيقة مطلقة؟

نعم هو كذلك، حيث دلت عليه الدلائل اليقينية، فهذا القرآن المعجز بلفظه ومعناه، وهو المعجزة الخالدة التي تشهد بصدق النبوة، وأنه كلام الله.

ما هو الإلحاد؟

هو إنكار الله -سبحانه وتعالى- والتكذيب بدينه الحق.

فهو إذن تكذيب لأظهر حقيقة مطلقة.

فمن حقنا -إذن- أن نمنع نشر الإلحاد بين المسلمين، لأنه إنكار للحقائق وتشويه لها.

فإن قيل: (**الفِكر يُواجَه بالفِكر**)[1]، قلنا: لا يمنع أن يرافق الكتب التي ترد على الإلحاد وتنقضه، منعٌ لانتشار أفكار الإلحاد وكتبه، وليس هذا خوفًا منه، ولكنه إبطال لتلك الأوهام الكاذبة والتي يشغب بها المُعرِضون على الحقائق.

[1] هذا إن سلّمنا جدلاً بأن الإلحاد فكرٌ ورأيٌ له اعتبارٌ من الصحة، وإلا فهو لا يعدو إلا أن يكون مذهبًا خرافيًا مليئًا بالأكاذيب والمغالطات.

ولا يُسلَّمُ للقائل أن المنع يؤدي إلى شهرة الكتاب وانتشاره، إذ أن كثيرًا من الكتب الممنوعة ظلت مغمورةً مجهولةً لكثير من الناس بعد منعها.

وعندما تصل المسألة إلى تزوير الحقائق وتشويهها، فإن مثل هذه التصورات يجب أن تُمنع وإلا...

وإلا فإنه يجب علينا أن نسمح لمن يدعي المهارة في الطب أن ينشر آراءه فيها حتى ولو كان جاهلاً بعلم الطب.

ونسمح لفلانٍ من الناس أن يتكلم في التاريخ والأنساب وينشر فكره فيها، حتى وإن خالف الحق، وحاول أن يزوِّره.

فتختلط الأهواء بالحقائق، وتفسد حياة الخلائق.

وإن كنا نمنع نشر التصورات والأفكار التي تفسد حياة الناس وعقولهم، فما بالنا نسمح بنشر فكرٍ يدمر عقل الإنسان، ويفسد آخرته ويقوده إلى الهلاك؟

إن من أشد الحقائق تغييبًا في واقعنا حقيقةُ الإسلام، وذلك إما بسبب تقصيرنا في الدعوة إليه، أو كيد الماكرين الظالمين في إخفاء نور الله وهداه.

والتقصير في الدعوة إلى الله ناتجٌ عن ضعف الإيمان بالله، وكذلك ضعف الثقة بالنفس بعرض الإسلام كما تُعرض البضائع في سوق الأفكار والمذاهب، أو ترك شبهات أهل الباطل وأهوائهم تروج وتنتشر من غير دحضها وإبطالها.

أما أهل الباطل فهم يكيدون للحق لأنه خالف أهواءهم ورغباتهم الفاسدة، ولو أن الحق الذي يحاربونه قد وافقهم فيما يريدونه[1] لكانوا أول الناس اتباعًا له، لذا قال الله عنهم: ((**وإذا دُعوا إلى الله ورسولهِ ليحكم بينهم إذا فريقٌ منهم معرِضون*وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين**)) [النور/48].

ويرد الله عليهم بقوله: ((**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**)) [الصف/8].

[1] قال الله تعالى في سورة المؤمنون: ((**ولو اتبع الحقُّ أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم مُعرِضون**)) [المؤمنون/71].

**الموضع الأخير: "وفي الوقت الذي كان فيه الصحابة في أشد الخوف من هجوم المشركين عليهم في المدينة[1]، كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشرهم بالنصر والتمكين، ويبشرهم بفتح البلاد، فتيقنوا ذلك، ولم يهزأ سوى المنافقون الذين لم ينظروا أبعد من أنفهم!".**

***التعليق:** أين أسماء المنافقين الذين سخروا من الوعد النبوي المبارك؟ لقد ذهبوا ولم يسجل التاريخ أسماءهم، وإنما سجل مقالاتهم التي صارت درسًا واضحًا فاضحًا لكل من سخر بموعود الله لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وفي أقل من عشرين سنة توسعت جيوش المسلمين فاتحةً الأمصار المختلفة من العراق وفارس، وبلاد الشام ومصر.

ولم تمض تسعون سنة حتى كانت راية الإسلام تخفق في إسبانيا غربًا، وتقترب من حدود الصين شرقًا، وتقارب تركيًا شمالاً.

**"وعمّا قليلٍ طبّق الأرضَ حكمهُم *** بأسرع من رفع اليدين إلى الفمِ"**

قال الله تعالى: ((**فاصبر إن وعد الله حقٌّ ولا يستخفنك الذين لا يوقنون**)) [الروم/60].

وإلى هنا ينتهي التعقيب والتعليق على البحث المتين.

أسأل الله أن يجعله حجةً لنا لا علينا، وأن يستعملنا لنصرة دينه ونصب راية شريعته.

والحمد لله رب العالمين.

صبيحة السبت 1435/9/28هـ-2014/7/26م

[1] وذلك في غزوة الأحزاب سنة 5هـ،

## [45]

## لا إسلام بلا مسلمين ولا مسلمين بلا إسلام

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبيه الأمين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

"إسلام بلا مسلمين ومسلمون بلا إسلام"

كتبت عن هذه العبارة الشهيرة مقالًا صغيرًا (البحث المتين في إبطال عبارة إسلام بلا مسلمين) منذ ما يربو على ثلاث سنين، وأتبعته بحاشية للتوضيح والبيان، ولكن استجدت لي بعض المعلومات التي ستُحكِم -بإذن الله- نقدي وتجعله متينًا عصيًا على النقض.

تقوم عبارة "إسلام بلا مسلمين" على مقدمتين مضمرتين فيها، وهما:

1- عمارة الأرض غاية كبرى دعا إليها الإسلام.

2- حقق الغربيون عمارة الأرض وكانوا متخلقين بأخلاق الإسلام فحققوا بذلك غاية كبرى من غايات الإسلام.

النتيجة = أقام الغربيون الإسلام برغم كفرهم به.

والعبارة تعني أن الإسلام ظاهر أو قائمٌ في بلاد الغربيين (الأوروبيين-الأمريكان-اليابانيين) رغم كفرهم بالله.

**نقد المقدمة الأولى:**

"خُلقنا/وجدنا لنعمر الأرض"

هذه العبارة ونظائرها لا تختلف كثيرًا عن الاعتقاد بأن كمال الإنسان وشرفه يكمن في أكله وشربه ونكاحه. لأن عمارة الأرض والعلو فيها وامتلاك مادتها إنما هي وسائل يستخدمها الناس ليعيشوا برفاهية ورخاء ويشبعوا غرائزهم الطبيعية التي يشتركون فيها مع الحيوانات والحشرات.

فليس الغريب -إذن- أن يقولها علماني متهافت على دنياه الزائلة أو ملحد عديم العقل (والفروق بينهما تكاد تنعدم حقيقةً)، فهذا اتساق منهم مع مبادئهم ومعتقداتهم. وإنما الغريب والعجيب أن يرددها ويلوكها مسلمٌ موحد يعلم أن الله عز وجل قال في كتابه: ((**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**)) [الذاريات/56].

ثم إن الأمم السابقة كعاد وثمود قد حققوا هذه الغاية التي هي عمارة الأرض بشهادة القرآن نفسه، فقد قال الله عز وجل: ((**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**)) [الروم/9] وقال تعالى: ((**ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين*وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين*وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين**)) [الحجر/80-82]. والآيات في ذلك كثيرة.

والشاهد هنا أن الله أرسل الرسل إليهم بالكتب وأيدهم بالمعجزات ليؤمنوا بالله وحده ويذروا شركهم وكفرهم، ولو كانت عمارة الأرض مقصودة بذاتها لنبه الله إليها في القرآن. وهل وردت عمارة الأمم السابقة في القرآن إلا في سياق الذم والقدح؟

ماذا عن أحاديث الزهد في الدنيا؟ ماذا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**))؟ وماذا عن قوله عليه الصلاة والسلام: ((**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**))**؟** هل يتسق كل هذا مع القول بأن الإنسان مطالبٌ بأن يعمر الأرض ويبنيها؟

قد يقولون بأنها ضرورة للعيش، وعلى التسليم بذلك فإن الأكل والشراب والنكاح ضرورات حياتية لا غنى للإنسان عنهم، ومع ذلك فلا يقول عاقل فضلًا عن مسلم موحد أنها غايات وجود الإنسان. فما الفارق المؤثر بينها وبين (عمارة الأرض)؟

فتبين بذلك أن عمارة الأرض ليست غاية إسلامية فضلًا عن أن تكون معيارًا لتمسك المرء بالإسلام. وقصارى ما يقال عنها -كما يقول كمال المرزوقي[1] - أنها مباحة لم يدع إليها الإسلام ولم ينه عنها.

**نقد المقدمة الثانية:**

لما تبين أن عمارة الأرض ليست مقياسًا لإسلام المرء وتقواه، وأنها لا تخرج الغربيين وأضرابهم من الذم الذي لحق بالأمم السابقة لكفرهم بالله وتكذيبهم بالنبوة، قال بعض من يصحح عبارة "إسلام بلا مسلمين" أن المقصود هو الأخلاق الإسلامية الرفيعة كالعدل والأمانة والصدق وما أشبه ذلك.

فلما ظهر لنا أن الغربيين يقيمون هذه الأخلاق، قلنا بإقامتهم للإسلام حتى وإن لم يكونوا مسلمين.

والحق أن هذا استدلال باطلٌ ركيك كسابقه ويتبين بما يلي:

1- من قال أن الأمم السابقة وجاهلية العرب -على وجه التحديد- كانت خالية من الأخلاق الحميدة؟ ألم يتصف عرب الجاهلية بإكرام الضيف والغيرة والشجاعة وسقاية الحجيج؟

فهل أغنى ذلك عنهم من الله شيئًا؟ هل كان ذلك كافيًا لرفع وصفهم القرآني والنبوي بالجاهلية؟

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: ((**وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب**)) [رواه مسلم]، وفي ذلك يقول الإمام النووي رحمه الله: "والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل"[2].

وقد قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم: ((**يا رسول الله، إن ابنَ جدعان كان في الجاهلية: يصل الرحم ويطعم المسكين فهل**

---

[1] https://www.youtube.com/watch?v=hdTV73uO6Gk
[2] (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيت الأفكار الدولية، ص1666).

**ذاك نافعُه؟ قال: لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))** [رواه مسلم]

وقد قال الله تعالى: ((**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين**)) [التوبة/19].

2- أعمال الكافرين مهما صلحت وحسنت فإنها لا تساوي -عند الله- ذرة من أعمال المسلمين، لأن العمل الصالح المقبول في الإسلام هو ما كان صاحبه مخلصًا لله تعالى متابعًا للنبي صلى الله عليه وسلم متحريًا بذلك عبادة الله على الوجه الذي يرضيه، فهل توصف أعمال الغربيين الكافرين الذين ما قصدوا الله سبحانه وتعالى بعبادة أو عمل ولم يتابعوا النبي صلى الله عليه وسلم بل ازدروا سنته ودينه بأنها إسلام؟ هم أنفسهم لم يريدوا موافقة الإسلام، فكيف يصح لعاقل أن ينسب أفعالهم إلى الإسلام لمجرد اتفاقهما في بعض النتائج؟ وهل هذا إلا عين الترقيع الأجوف؟

3- الحكم بأن بعض أفعال الكافرين إسلام بناءً على اشتراكها الكلي مع الإسلام يؤول إلى التناقض الظاهر. فالحض على بر الوالدين -مثلًا- قيمة يشترك فيها الإسلام والنصرانية، فهل يصح أن نحكم على البار بوالديه بأن فيه إسلامًا ونصرانية لمجرد بره بهما؟ وهل هذا إلا تناقض فاحش؟!

4- معنى الإسلام واضحٌ كما في الحديث الذي رواه مسلم: ((**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً**))، فلا يصح حمله على مجرد الأخلاق التي تتفق مع الإسلام. إذ أن بطلان أصل الإسلام وهو توحيد الله سبحانه وتعالى يقضي على الفرع بالبطلان. والإسلام بهذا الاستخدام الاعتباطي للفظه ينتقل من كونه دينًا أنزله الله على الناس إلى مجرد أخلاقيات شكلية يشترك فيها مع غيره ولا يتميز بها عما سواه.

5- أن يقال وصفكم لأفعال الغربيين بأنها إسلام لا يخلو إما أن تكون كل الإسلام أو بعضه، أي -بعبارة أخرى- إما أن يكون الغربيون قد أقاموا الدين كله بحذافيره أو بعضه. والأول ممتنع بطبيعة الحال لأن الغربيين كافرون

بالله ونبيه صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالبعث والنشور كما في القرآن والسنة ولا يقيمون الصلاة...إلى آخر ذلك. فتبيّن بذلك أنهم مقيمون لبعض الإسلام. فيقال لكم: من أين لكم أن هذا القدر من أفعالهم كافٍ ليوصف بأنه إقامة للإسلام؟ ولم لا تكون إقامة الدين حقًا قدرًا أكبر مما فعله الغربيون؟ ومن هنا فإما أن يضعوا حدًا معقولًا له دليل من القرآن والسنة، أو يجعلوا نسبة العمل الواحد للإسلام كنسبة الأعمال الكثيرة. والأول اعتباطي لا حقيقة له والثاني ممتنع.

6- يتفق أصحاب "إسلام بلا مسلمين" على أنه ليست كل أفعال الغربيين موافقة للإسلام، فمنها كبائر عظمى كشرب الخمر والزنا، ومنها ما يناقض الإسلام حتمًا كاستحلال الحكم بغير ما أنزل الله والتكذيب بالقرآن. فيقال أن بعض أفعالهم توافق ما يدعو إليه الإسلام كالصدق والعدل، وهذا يختلف تمامًا عن القول بأن أفعالهم إسلام أو أنها تقتضي قيام الدين في بلادهم.

وبسقوط الاستدلالات التي قامت عليها المقدمات المضمرة، فقد فسدت النتيجة ضرورة. ولا داعي للانشغال بنقدها إذ أنها محض فرع باطل عن أصل أشد بطلانًا منه.

**الخلاصة:**

وبقول كلي مجمل، فإن "إسلام بلا مسلمين" = دعوة لتفريغ الإسلام مما يختص به من توحيد الله والقيام بحقه من العبودية الخالصة له، واتباع نبيه صلى الله عليه وسلم ومقتضياتهما، وجعله إطارًا مطاطيًا يتسع ليشمل كل ما يخالفه بل ينافيه من الأديان والفلسفات لمجرد الاتفاق اللفظي أو المعنوي أحيانًا في بعض القيم الأخلاقية كالعدل والأمانة.

فليس الغرب مسلمين، ولا هم مقيمون للإسلام. ومجرد علوهم في الأرض وقوتهم لا يمنع من ذمهم كما ذم القرآن الأمم السابقة المكذبة بالوحي مع قوتها وعلوها في الأرض. وهم يشتركون معهم في الفشل الحقيقي في الحياة، وهو عدم تحقيق غايتها التي رسمها الله سبحانه وتعالى للبشر.

إذن فعبارة "إسلام بلا مسلمين" جوفاء لا قيمة لها، بل معناها باطل وفاسد حتمًا لما فيه من وضع الشيء (الإسلام) في غير موضعه (الكافرين) وهذا عين الظلم والبغي.

فالغربيون جاهليون كمشركي العرب، ظالمون لغيرهم كقوم شعيب، ومتبعون لشهواتهم كقوم لوط.

والحمد لله رب العالمين.

البراء بن محمد

ماليزيا

الثلاثاء 1438/4/12هـ - 2017/1/11م

## [46]

# مسالك الناس في إجابة الأسئلة الشخصية

يطرح الناس علينا سؤالات تمس خصوصيتنا بداعي الفضول أو التجسس، وهذه السؤالات هي ما نسميه عادة (أسئلة شخصية). ونحن من يملك إجابتها أو رفضها، كما هو ظاهر الحال. ولكن يحدث كثيرًا أن تكون هذه الأسئلة محرجة لنا ومحيرة بما يكفي لتربكنا، وتجعل اتخاذ قرار إجابتها أو رفضها صعبًا متعذرًا.

لا شك أن للناس مسالك شتى في مواجهة الأسئلة الشخصية المحرجة التي تهدد خصوصيتهم. وهي جديرة بالمعرفة والتأمل.

وقبل سبر هذه المسالك، فإن من المهم التذكير ببعض المسلمات الضرورية:

1- السؤال الشخصي هو طلب الكشف عن معلومات لا حاجة للعلم بها أو ليست لائقة ومناسبة لوقت ومكان (سياق) طرح السؤال. وهذا التعريف يعني أنه يمكن كشف هذه المعلومات عند الضرورة وعند مناسبة السياق. ومعرفة السياق المناسب تقتضي تقييمًا ذاتيًا للموقف ولحدود الخصوصية، وهذا يعني اختلاف الناس في تحديد السياق المناسب. فما يكون سياقًا مناسبًا لزيد قد يكون سياقًا مناسبًا لعمرو.

2- خصوصيتنا حق أصيل لنا، ويجب علينا أن نحميه، ونرعاه حتى لو تطلب ذلك إهمال سؤالات الآخرين التي تخترق خصوصيتنا. لكن هذه الخصوصية تتقاطع أحيانًا مع خصوصية الآخرين ومصالحهم، وقد تقتضي المصلحة خرقها بما يحقق الخير للجميع. فالمؤكد أن حقنا في حماية خصوصيتنا ليس مطلقًا بلا قيود.

3- إجابة السؤال الشخصي أو رفضه قراران متكافئان في وجوب الترجيح الحكيم لأحدهما على الآخر قبل اتخاذه. ينبغي أن نقتنع باتخاذ أحد القرارين بناءً على معرفة المصالح والمفاسد المتوقعة من حصوله. قناعتنا بما نفعله تسبق إقناع الآخرين به.

4- إننا نخفي معلوماتنا الشخصية لحاجتنا لذلك، أو لمجرد أننا لسنا متحفزين بما يكفي لجعلها ظاهرة للعيان. لا ينبغي لنا أن نساوم على معلوماتنا الشخصية لمجرد الحصول على معلومات الناس الشخصية. إن حرية الناس في إخفاء ما يريدونه من معلومات مماثلة لحريتنا في إخفاء معلوماتنا الشخصية. لا شك أن في كشف الأسرار وهتكها لذة معروفة، لكنها ليست غرض العقلاء الشرفاء. وحتى يحترم الآخرون حريتنا الشخصية، فإنه ينبغي لنا أن نحترم حريتهم الشخصية.

5- متى أزلت حجابًا عن أسرارك، فإنها تخرج بذلك عن حد الأسرار إلى حد المعلومات العامة التي يتشاركها الناس في مجالسهم، ومن شأن هذه المعلومات أن تنتشر وتبلغ آفاقًا تتجاوز مخيلتك. لا شك أن "صدور الأحرار قبور الأسرار" كما قيل قديمًا، ولكن الأحرار قلة في الناس، والأسرار عبء تثقل عن حملها الأرواح التي أثقلت بأسرارها.

أما وقد انتهيت من تقرير ما سبق من مسلمات، فقد آن الأوان لسبر مسالك الناس في إجابة الأسئلة الشخصية.

**المسلك الأول: لا أريد أن أجيب عن سؤالك/لن أجيب سؤالك**

إنها إجابة صريحة وجيزة بسيطة. فهي تقطع سبيل السؤال والجواب معًا. قلها بحزم وستمنع أي أسئلة أخرى محرجة.

ومع ذلك فليس كل الناس يحسنون مثل هذا الرد الصارم الجاف، خاصة وإن كان السؤال قريبًا حميمًا أو صديقًا فاضلًا لا يبتغي الفضول والتجسس والأغراض الردية. إن من العسير أن تخبر أحدهم أنك ستتجاهل سؤاله، وأن سؤاله لا يمثل أي قيمة لك حتى يُجاب عنه. قد يبدو ذلك فظًا وجارحًا.

الأصعب من ذلك هو التوتر والحرج الشديد اللذان يصيبان الناس عند تلقيهم سؤالًا شخصيًا. نعم، لهؤلاء أن يرفضوا الإجابة، ولكن غيرهم لن يكتفوا بذلك قطعًا. ستذهب بهم الظنون كل مذهب، وسيعتقدون أن رفض الإجابة عن السؤال هي إجابة في حد ذاتها. ولن تكون هذه الإجابة الحاسمة حاسمة للفضول المذموم، بل ستثير ظنونًا سيئة وتوهمات باطلة.

ولذلك، فليس هذا المسلك هو الأوحد عند الناس. هناك مسالك أخرى.

**المسلك الثاني: ليس من شأنك**

إنها علامة تحذيرية تمنع الآخرين من ولوج تلك المناطق الخطرة الحساسة التي تقع بعيدًا عن أملاكهم. تكفي هذه العبارة لردع الغرباء عن التطفل. إن ما تسأل عنه، ليس من شأنك، فلم الانشغال به؟

وقد جاء عن الإمام مالك نظير ذلك: "سأل رجل الشافعي عن سنه فقال: ليس من المروءة أن يخبر الرجل بسنه،سأل رجلٌ مالكًا عن سنه فقال: أقبل على شأنك"[1].

وقد يجني بعضهم على خصوصيته، ويضحي بها في سبيل أن يبدو لطيفًا متفهمًا لغيره من الناس. ولذلك ينكف عن هذه الإجابة. وقد يتركها لأن الظاهر منها هو أنها مبالغة في الجواب، وردة فعل دفاعية وليست تحذيرية مانعة.

**المسلك الثالث: إنه سؤال شخصي.**

إنه مسلك يبدو لطيفًا مهذبًا، لأنه يصرف النظر عن السائل ويوجهه إلى السؤال ذاته. إنه يلفت نظر السائل إلى سؤاله فيحسن طرحه وصياغته، أو يراجع مقصوده وغايته من السؤال نفسه. فلعله أخطأ باقتحام خصوصية غيره لا لحاجة ماسة.

إنه رد واضح مهذب يردع العاقل عن التقحم أكثر وأكثر فيما لا يعنيه. غير أن من الناس من لا يكفيه جواب مؤدب كهذا. إنه يتجرأ ويتواقح ليزيد على سؤاله الشخصي سؤالًا شخصيًا آخر: "لماذا؟". لأي شيء تمنعني عن السؤال، وتعتبر أن سؤالي اختراق لخصوصيتك؟ إنها محاولة ذكية لصرف الانتباه عن كون السؤال شخصيًا إلى ذات المسؤول لاتهامه بأنه يبالغ في التحسس من الآخرين، وإساءة الظن بمقاصدهم.

---

[1] (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الفكر، ط 1416هـ-1996م، الجزء التاسع، ص129).

ويا للعجب! فهل يتطلب امتناع أحدنا عن إجابة سؤال شخصي تعليلًا؟ ثم هل سيكف المتطفل عن تطلب مزيد من الأسئلة بمجرد معرفة التعليل؟ ألن يقوده عناده وتطفله لطرح مزيد من الأسئلة؟

إنه سؤال شخصي وحسب. **وليس من شأنك** السؤال عن علة ذلك!

**المسلك الرابع: الصمت**

"فإن الذكي يفهم بأدنى إشارة ما لا يفهمه الغبي بألف عبارة"[1]

والصمت أدنى إشارة للذكي الفَطِن بأن يكف عن سؤاله الشخصي، ويقبل على شأنه. والحق المر هو أن أغلب الناس ليسوا بأذكياء ليفهموا دلالة الصمت، وإن كانوا أذكياء فهم أهل صفاقة ووقاحة لا تتناهى. لذلك تجدهم يستغلون ظهور الصمت لاستنتاج ما شاؤوا من الأوهام الباطلة، والظنون الكاذبة. بل ويشنعون على الصامت المسكين لأنه جبان خوار خجول. لمجرد أنه لم يجارهم في سفاهتهم ووقاحتهم.

وهو مسلك ضعيف لا يناسب أكثر أحوال الناس.

**المسلك الخامس: لماذا؟**

إنها إجابة بارعة ذكية تناسب كل مقام. وهي التفاتة بديعة تنقل المسؤول من جانب الدفاع إلى جانب الهجوم والإجهاز على كل فضول يخترق خصوصيته. وهي إصابة للسؤال والسائل على حدٍ سواء. وهي ردة فعل مباغتة للفعل نفسه، ومكافئة لمقداره.

بالإضافة إلى أن هذه الإجابة تكشف مقصود السائل الحقيقي من السؤال، فتخفف وقع السؤال على نفس المسؤول، وربما يجيب عنه إن اطمئن إلى حال السائل ومقصوده.

الجدير بالذكر أن هذا المسلك يعطي السائل مجالًا للمناورة والأخذ والرد إن كان يعتقد أن غرضه مشروع بما يكفي ليسأل عنه.

---

[1] (البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، ط1 1426هـ، المجلد الأول، ص7).

ولذلك تجد أن بعضهم يقرر مقصوده من السؤال، ثم يعيد طرح السؤال لوثوقه من أن هذا المسلك سالك به نحو ما يريده.

وحينئذ فقد بطل أثر هذا المسلك، فوجب الانتقال الفوري عنه إلى مسلك آخر مما ذكرنا آنفًا.

**المسلك السادس (الأخير): تغيير الموضوع**

قد استقبلت رسالتك هذه، ولكنني لن أرد عليها تلافيًا لإحراجك وإحراجي. واعلم أن ما تسألني عنه ليس ذا بال كما تظن. وليس الحديث عنه بأولى من الحديث عن هذا الموضوع الجديد.

قد يتجرأ بعضهم هنا فيقول: لم تتهرب من الإجابة؟ ربما لم يفهموا سر تغيير الموضوع وهو أن سؤالهم شخصي ينتهك الخصوصية. وربما فهموا فأصروا وعاندوا.

لست ملزمًا بأن تجيبهم عن سؤالهم هذا، إذ أنه تافه كسؤالهم الأول، وهو تأكيد على أنهم يريدون انتهاك خصوصيتك حقًا لا لشيء فقط ليتلذذوا بذلك. ربما أرادوا أن يؤكدوا قناعاتهم القاصرة عنك بسؤال مخادع كهذا. لن تهم معرفة دوافعهم كثيرًا هنا، فالمهم أن تكون دفة القيادة بيديك.

وقد يتضمن هذا المسلك إحراجًا للسائل، فيعلم حينها أنه لم يوفق في سؤاله، وأنه استحق التجاهل بسبب تسرعه في السؤال عما لا يعنيه.

-

بعد سبر مسالك الجواب الآنفة، نرى أن من استبد به فضوله، لن يرتدع بأي شيء لكبت هذا الفضول القبيح.

ونرى أيضًا أن تقحم خصوصيات الآخرين يجر على المرء حرجًا وأذى بالغًا يماثل شناعة فعله.

اللهم استرنا بسترك، واعف عنا، واغفر لنا، وأشغلنا بما فيه نفع وخير لنا.

والله أعلم وأحكم.

## [47]

## شيءٌ من أدب الخواطر

قد يمل القارئ أحيانًا قراءة الكتب العلمية الدَسِمة، وربما لا تتوق نفسهُ لقراءة المجلدات الضخمة أو الكتب الصعْبة ألفاظًا العالية أسلوبًا، فيحتاج إلى بعض الكتب التي تريحه، وتقطع شيئًا من الملل والضجر الذي يراوده من كثرة القراءة أو طول المدة.

وكذلك نقول عمّن لم يعتد القراءة، ولا يستطيع أن يُرغم نفسه على إمساك دفتي كتابٍ ما، فنفوره عن القراءة غريزيٌّ أو هو مما ورثه من مجتمعه وأصدقائه.

وقد أحببت أن أرشح في هذا المقال شيئًا من كتب الخواطر والحكم المختصرة، والتي لا يمل القارئ منها، بل وينسجم معها عندما يبدأ في قراءتها.

وهي تدور (في الغالب) حول موضوعات مشتركة بينهم، مثل الأخلاق والحكمة، والحياة، وكذلك المشاعر الإنسانية، وشيءٍ من تجارب الحياة.

1- **(الأدب الصغير) و (الأدب الكبير)** للأديب عبدالله بن المقفع.
2- **(صيد الخاطر)** للإمام ابن الجوزي (كتاب كبير مقارنةً ببقية الكتب المذكورة).
3- **(الأخلاق والسير في مداواة النفوس)** للإمام ابن حزم.
4- **(كلمة وكليمة)** للأديب مصطفى صادق الرافعي.
5- **(هكذا علمتني الحياة)** للشيخ مصطفى السباعي.
6- **(خواطر في زمن المحنة)** للكاتبة نوال السباعي.

والباحث في الأدب العربي عمومًا والمكتبة الإسلامية خصوصًا يجد أكثر مما اقتصرت عليه، والابتداء بهذه الكتب طيب وحسن.

## [48]

# إحسان يقتضي إساءة

إحسانك للآخرين الذي يوازي إساءة بالغة لأهلك (والديك على وجه الخصوص) دليلٌ على خبث تشتمل عليه نفسك. نعم، إنه خبث وشر لا مناص منه إلا بالتوبة الصادقة ومحو ما مضى بالعمل الصالح.

وذلك لأن من عجز عن القيام بحق غيره عليه وفرّط في ذلك حتى خرج عن إرادته وقصده، أعجزُ عن الإحسان للآخرين ممن ليس لهم حق عليه. وما يظهر من إحسانه لهم إنما هو موافقٌ لهواه وشهوته لا لفطرته ونفسه التي تقصد الحق والخير بطبيعتها.

ومن أحسن للناس وفقًا لما يمليه هواه عليه فلا فرق بينه وبين الظالم، إذ أن الظالم لا يقصد الحق ليقيمه والخير ليفعله، بل يقع في ما يشبههما من الباطل والشر لموافقته لما يحب.

لك أن تحدثنا عن ما جناه أبوك عليك، وعن تقصير أمك معك، وتجعل ذلك كله مذكرة دفاعية تظهرها للجميع حتى تستبرئ بها من لومهم. ولكن تذكر أنك ما زلت ظالماً لهم، واستحضر أنك تجتنب إقامة العدل معهم لخطئهم عليك. فإن كان خطؤهم جليًا ظاهرًا، فإن الظلم لا يرفعه ظلم. وإن كان دون ذلك فالحق والعدل يقتضي ألا يُرَدّ عليه بظلم أشد منه.

لك أن تهمل كل ذلك، وتتجاوزه متجافيًا عنه، مواصلًا السير في سبيلك. ولكن استحضر شيئًا منه لعلك تفيق من غفلتك [المتعمدة] هذه قبل أن تزول أوهامك جميعًا بهلاكك أو هلاك والديك ومن لهم حق عليك.

## [49]

## لماذا يجب أن نعاقب الإباحيين بالخازوق؟

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

قال الله تعالى: ((**إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون**)) [النور/19]

وقال جل في علاه: ((**والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلًا عظيمًا**)) [النساء/27]

لماذا يجب أن نعاقب الإباحيين بالخازوق؟

لو لم تكن هناك إباحية، لما وجد إدمان الإباحية. يبدو هذا استدلالًا منطقيًا صحيحًا، وهو كذلك بالفعل (1).

تحقق الكثير من الحملات المناهضة للإباحية نجاحات عظيمة في تخليص الناس من قيود إدمان الإباحية وأضرارها، ولكننا رغم ذلك نشهد تزايدًا مهولًا في أعداد المصابين بإدمان الإباحية. وهذا يبعث في أنفسنا تساؤلًا مهمًا عن فعالية الأساليب التي نقاوم بها توغل الإباحية في أذهان الناس وحياتهم.

وأحد الأسباب الجوهرية في هذه الزيادة المهولة هو غياب حلقةٍ كبرى بين الإباحية والمدمنين.

وهذه الحلقة هي الممثلون والإباحيون.

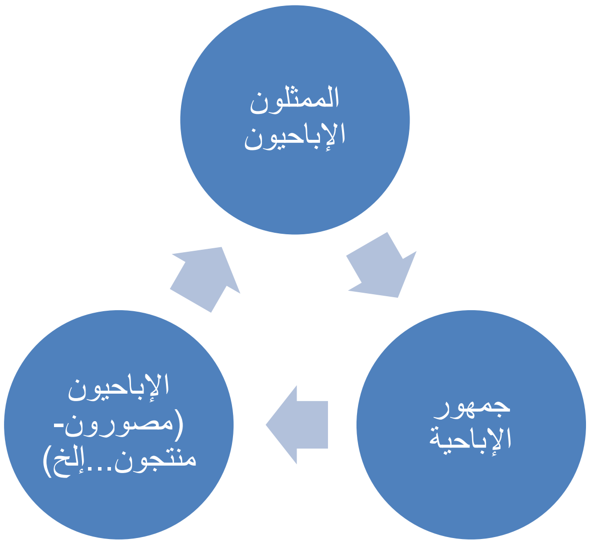
يمضي العمل الإباحي في كثير من بلدان الغرب منسابًا بلا عراقيل أو (مطبات) تفسد جريانه وانطلاقه، ويقاوم هذا المد الإباحي بمئات الحلقات الوعظية التوعوية التي تهدف إلى (تقليل) حجم آثار هذه المشكلة الكبيرة،

وذلك من خلال إخراج الناس من عفن الإدمان الذي لا يكادون يخرجون منه بسهولة.

هل بدأت تلتقط الصورة جيدًا؟ هل فهمت ما أعنيه؟ نعم، أحسنت! ها هي الصورة الحقيقية.

الصورة هي أن كثيرًا من الحملات المناهضة للإباحية تبذل جهدها في استئصال فروع المشكلة دون بذل الجهد في اقتلاع الأصل الذي نبتت منه هذه الفروع.

حاولت في هذه الدائرة المبسطة توضيح العلاقة بين المدمنين والإباحية وإيجاد الحلقة المفقودة بينهم.




نستطيع بتبسيط شديد أن نقول أن الإباحيين يغررون بالكثير من النساء والرجال ليعملوا في الإباحية لاكتساب مالٍ أو شهرة أو مزيدٍ من الجنس، ثم يعرضون منتجاتهم عالية الجودة على الجمهور الذي ينبهر بهذه المشاهد. فينفق الجمهور ماله ووقته داعمًا بذلك الممثلين والإباحيين، ليزداد إنتاجهم ويتعاظم أكثر.

وأحب أن أسجل بعض الملاحظات على ما سبق لتكون الصورة أكثر دقة:

1- ليس المال هو الدافع الوحيد لممثلي الإباحية كي يعملوا في مجالهم هذا. فالجنس وحب الظهور، والمرح، والعلاقات وغيرها من عوامل أخرى تدفعهم للعمل.

2- يمكن أن يبتدئ الممثلون مسيرتهم الفنية دون الحاجة لإباحيين يروجون لهم.-

تجريم الإباحية ومعاقبة صانعيها وإغلاق مواقعها الالكترونية هي خطوة لا تكاد تجدها في كثير من البلدان الغربية، وهذه إشكالية بحد ذاتها.

إذ كيف لك أن تحارب صناعة المخدرات وترويجها واستهلاكها، وتبذل كل وسعك في ذلك، ثم تتساهل في محاربة صناعة الإباحية التي يكاد يكون إدمانها مقاربًا -إن لم يكن أسوأ- لإدمان المخدرات؟

والمقاربة بينهما ليست في وجود الأضرار الجسيمة التي يخلفانها على المدمن وحسب، بل كذلك لانعدام الحد الأدنى "السليم" من الاستهلاك، والذي يخلو من الخطر والضرر.

بل هذا الحد -إن وجد أصلًا- في غالبه مفضٍ إلى الإدمان (2)، وتراكم الخبرات البشرية يؤكد لنا أن الإدمان لم يبدأ بكمية ضخمة. بل ابتدأ الإدمان بخطوة أولى وكانت سلسلة تجر ما بعدها من الخطوات التي يصعب التراجع عنها مع تقدم الوقت.

وهنا يفترق إدمان الكحول والمخدرات والإباحية عن الانترنت الذي يمكن ضبطه وتقليل آثاره بفعالية أكبر.

الإباحية = دعارة مصورة! (3).

الذي دفعني للحديث عن هذا الموضوع، هو أنني وجدت قناة تحارب الإباحية ولكنها تصف نفسها بأنها ضد الحجب والرقابة anti-censorship، استغربت هذا السلوك المتناقض المتنافر الذي يعنى بخفض نسب المدمنين دون أن يساهم في قطع سبب الإدمان الأساسي.

لماذا تناهضون حجب المواقع الإباحية؟ *على اعتبار أن حجب المواقع الإباحية جزء من الحجب العام الذي يناهضونه*

أتعارضونه [أي: الحجب بصفة عامة] لأنه وسيلة استخدمت بيد الطغاة والمستبدين؟ فلتصادروا أسلحة الجيش والشرطة إذن، لأنها وسائل فعالة استخدمها الطغاة كثيرًا؟ (4)

أتعارضون الحجب لأن إقناع الناس بترك الشر أولى؟ فأخبروني، هل تجدون تعارضًا بين نهي الناس عن الإرهاب أو التحرش وقطع الوسائل والسبل الموصلة إلى ذلك؟ ألا يمكن أن تنهى الناس عن الجريمة ويرافق نهيك اللفظي نهيٌ عملي بفرض العقوبات على المعتدين؟

أتعارضون الحجب لأن في ذلك تحجيمًا من حريات الناس وتدخلًا فيها؟ فأخبروني -بربكم- ما هي الحرية؟ وهل لها حدود أخلاقية؟

لماذا لا يكون الناس أحرارًا في ربط حزام الأمان أو تركه؟ ولماذا يكون الناس أحرارًا في إيذاء بعضهم بإنتاج الإباحية؟

اقرأ اعترافات الممثلات الإباحيات (ex-porn stars confessions) اللواتي خرجن من هذه الصناعة الخبيثة بالأسى والهموم (5). وستعرف مقدار النكد الذي يعود على من يعملون في الإباحية قبل أن يصيب مدمنيها.

يجب أن ننظر لمروجي الإباحية وممثليها على أنهم مشيعون للفاحشة، ومدمرون لأخلاق الناس ومفسدون لفِطرهم.

يجب أن نراهم شرًا مستطيرًا يجب إزالته.

والحمد لله أولًا وآخرًا

كُتب المقال بالانجليزية في يوم الجمعة 1437/8/2هـ - 2016/5/6م

ثم تُرجم إلى العربية في يوم الإثنين 1437/8/5هـ - 2016/5/9م

وحُرّر بزيادات وتعديلات ونُشر في ليلة الثلاثاء 1438/5/17هـ - 2017/2/14م

البراء بن محمد

ملاحظة: أرفقت ملحقًا بالمقال للرد على اعتراضات حقيقية.

بعض المصادر:


http://www.webmd.com/men/features/is-pornography-addictive

https://www.psychologytoday.com/blog/homoconsumericus/201405/why-do-women-become-porn-actresse

http://yourbrainonporn.com/cambridge-university-brain-scans-find-porn-addiction

http://www.livescience.com/46762-sex-addiction-and-drug-addiction-linked-in-the-brain.html

http://www.antipornography.org/ex_porn_stars_expose_truth.html

http://fightthenewdrug.org/mindys-story

https://www.shelleylubben.com/shelleys-articles/former-female-porn-addict-confession

https://www.buzzfeed.com/annanorth/ex-porn-star-speaks-out-about-sex-addiction-in-por?utm_term=.xpOGA3RgN#.sjOj79e4q

https://www.drugabuse.gov/publications/drugfacts/understanding-drug-use-addiction

ملحق، ردود على اعتراضات حقيقية:

(1): أُعترض على التقرير بأنه إنكار للمقدم (Denying the antecedent) وهي مغالطة منطقية تقع على الصورة التالية: إذا وجدت (أ) فـ(ب) موجودة، (أ) غير موجودة، فـ(ب) غير موجودة. فكأن التقرير يقع على نفس صورة المغالطة: إذا وجدت الإباحية، فالإدمان حاصل، ليست الإباحية موجودة، فالإدمان غير حاصل. فهو كقولنا لو لم توجد النساء لما وجد الاغتصاب.

لكن هذا الاعتراض ضعيف إذ يجوز أن نقول: إذا وجد إدمان الإباحية، فالإباحية موجودة، الإباحية غير موجودة، فالإدمان إذن غير موجود. وهو نسق استدلالي صحيح ننفي فيه التالي (Denying the consequent). ولو استعصى هذا التقرير على الفهم، فليحاول القارئ أن يتصور إدمان المخدرات بلا مخدرات، وإدمان الانترنت قبل وجوده. وهي كلها ممتنعاتٌ بالضرورة والعقل.

والحق أن الصياغة الأصلية في المقال: (لو لم تكن هناك إباحية، لما وجد إدمان الإباحية) قد تشكل قليلًا على القارئ إلا أنها أسلم وأحكم من الصياغة الأخرى: (لو لم يوجد إدمان الإباحية، لما وجدت الإباحية) إذ أنها توهم وجود علاقة سببية بين الإدمان وما يحصل به الإدمان. وهذا دور ممتنع. كما أن الشرب لا يتقدم وجوده على المشروب ولا يتقدم وجود الأكل على المأكول. ولا الإدمان على ما يحصل به.

(2): أُعترض عليه بأن الإدمان حاصلٌ في الأكل والشراب وسائر شؤون الحياة. وأنه لو وقع في كل هذه النشاطات فيصعب تجاوزه بحدٍ أدنى سليمٍ من الضرر. فليس في الإباحية (إدمانٌ) يختص بها وتُذمُ لأجله. كما أن هناك من يشاهدها على فترات متقطعة دون أن يقع في إدمانها. فليس الإدمان نتيجة حتمية لمشاهدة الإباحية.

والحق أن هذا الاعتراض بعيدٌ عن الصواب لوجوهٍ منها:

1- أنه قائمٌ على تفكير حدي غير مبرهن، فهو يقول ضمنًا: إما أن يكون هناك حد منضبط مبرهنٌ للإدمان ينعدم قبله ويزيد بعده، أو لا يكون هناك إدمان مطلقًا. والأول باطلٌ فالثاني صحيح. والحق بطلانهما سويًا إذ يجوز أن يكون هناك نطاقٌ تقديريٌ -يعكس قصور المعرفة واللغة البشرية- للإدمان دون أن يكون اعتباطيًا بلا دليل وبرهان أو ينفى تمامًا مع علم الناس به.

2- هذا الاعتراضٌ باطلٌ لتسويته بين المختلفات، فليس إدمان أكل الخبز مثلًا كإدمان المخدرات. إذ أنهما يتفاوتان في عواقبهما وفي أسبابهما وسهولة الانقطاع عنهما. ففي حين أن الانقطاع عن أكل الخبز مطلقًا أو جزئيًا ممكن بشكل كبير وسهل؛ يكون الانقطاع عن المخدرات بعد إدمانها أشد مشقة وصعوبة لأنها تغيّر الدماغ وتعبث به على نحوٍ يصعب إصلاحه بمجرد قوة العزيمة وصلابة الإرادة (رغم أهميتهما). وقِس على ذلك إدمان الإباحية. فبعض الدراسات تشير إلى تشابهه مع إدمان المخدرات بل يُفهم من بعضها أن المواد الإباحية نفسها فيها ما يسهل إدمانها واعتيادها.

3- ينجح هذا الاعتراض في تشويه الحجة الأصلية لجعلها هشة وقابلة للنقض والنفض. إلا أنه يبقى تشغيبًا لا قيمة له. فلست أقول أن كل من شاهد مادة إباحية ولو واحدة فإنه سيدمن الإباحيات قطعًا أو غالبًا. بل إنني أستمد من تجارب المنعتقين من إدمان الإباحية دليلًا يؤهلني للقول بأن بعضهم قد بدأ إدمانه خفيفًا وكان سهلًا عليه أن يتخلص منه ابتداءً. إلا أن استرساله فيه وتهاونه أوقعه في نهاية الأمر في الإدمان. لست أحتاج للقول بأن كل من يشاهد الإباحية يتضرر بها لأقول أن مشاهدتها ضررٌ في الجملة. كما لا يحتاج أحدنا أن يقول أن كل من يشرب الخمر يتضرر بها ليستشهد بذلك على أن الخمر ضارةٌ في الجملة. ولو اطردنا في هذا الاعتراض لما بقيت لنا حقيقة يمكن تعميمها مع استثناءات وقيود. فليس كل من اشترى قلمًا استطاع أن يكتب به، فلا يصح القول إذن أن القلم وسيلة الكتابة.

(3): أُعترض عليه فقيل بأن تعريف الإباحية يشمل جميع المواد المصورة والمرسومة والمقروءة التي توصل محتوًى جنسيًا محضًا، فلا يلزم أن يتخللها جنسٌ حقيقي بين إنسانين. فلا معنى لوصفها بالدعارة. والحق أن تعريف

الإباحية أشمل بكثير من حصرنا لها في المقال. ولكن ما نعنيه بالإباحية هنا هي المواد المرئية التي تتضمن مشهدًا جنسيًا محضًا. صحيحٌ أن بعض المواد المقروءة والألعاب تلحق بها. ولكن عرف الناس ينصرف عند سماع أو قراءة كلمة (إباحية) إلى المشاهد والصور الجنسية المحضة. ووجه شبه هذه المشاهد بالدعارة أن الدعارة فيها فاعل ومفعول به ومالٌ مبذول، وهذا واقع حتمًا في المواد الإباحية [في عرف الناس]. فلا وجه للاعتراض على ذلك بوجود النصوص والرسومات والألعاب الجنسية المحضة.

(4): أُعترض على ذلك بأن أسلحة الشرطة والجيش ضرورة للناس بعكس المواد الإباحية التي يظل منعها أو إبقاؤها أمر ذوقيًا خاصًا بالمجتمع، فهو قياس مع الفارق. والحقيقة أن حكاية اعتراضٍ كهذا تغني عن رده. فهو خارجٌ عن صلب الموضوع أصلًا!

(5): أُعترض عليه بأن كثيرًا من ممثلات الإباحية يعبرن عن سعادتهن وفرحهن بمهنتهن، فهي مهنة فيها الحسن والقبيح والجيد والسيئ كباقي المهن. ولكن يقال ردًا على هذا الاعتراض بأن ضغط العمل موجودٌ في كثيرٍ من المهن كما أن صعوبتها تتفاوت بحسب الجهد البدني والذهني المبذول فيه. ولكن ليس هذا مربط الفرس. مربط الفرس هو حصول الإهانة اللفظية والمعنوية لكثيرٍ من الممثلات الإباحيات التي اعتزلن هذه المهنة بالإضافة لشعورهن بالندم والخزي من ماضيهن الذي قضوه في ممارسة الإباحة. وليس المهم هنا هو عددهن ضمن عدد الممثلات الإباحيات في العالم. المهم أن نتيجة كهذه لم تتحقق في مهنة أخرى كالطب أو المحاماة أو الشرطة والجيش. والاحتجاج بجنس الأذى المشترك بين جميع المهن احتجاج باطل، لأنني لا أنفي وجود بعض الأذى في المهن الأخرى غير الإباحية، ولكن اعترافات الممثلات الإباحيات تشير إلى بروز هذا الأذى واستفحاله في مهنة الإباحة. فإن أصر المعترض على استدلاله فليأتِ بما يوازي اعترافات الممثلات الإباحيات من اعترافات الأطباء والمهندسين ولاعبي كرة القدم وغيرهم!

ووجود الممثلات الإباحيات السعيدات والمعتدات بمهنتهن لا ينقض ما قلته سابقًا، لوجود نظائر هؤلاء في مروجي المخدرات. دون أن يقتضي ذلك أن ترويج المخدرات واستهلاكها عملٌ جالبٌ للسعادة وتحقيق الذات. انتهى

## [50]

## خواطر متفرقة

قفزنا المتكرر إلى استثناءات الأصول، وشواذ القواعد والقوانين عند تقريرها؛ هو هروب ضمني من الاعتراف بمرارة الحقيقة، وتأكيد صريح لحقيقة المرارة التي تعترينا عند علمنا بها.

-

قال تعالى: ((**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**)) [البقرة/130].

المرتد عن دين الله إما أن تكون ردته لجهله أو لهواه، ولا يُسلَّم لكثيرٍ من المرتدين أن جهلهم بسيطٌ غير مركبٍ يبذلون وسعهم لإزالته بالعلم واليقين.

ومن ثمّ فلا وجه للتعاطف معهم إلا على سبيل الاعتبار بفساد أحوالهم لأنها عاقبة اتباع الهوى والجهل بالدين.

فلا يصح، إذن، أن يُلام مسلم على ردة شخصٍ ما لأن تصرفاته لا تمثل الإسلام الصحيح الذي يعرفه المرتد.

فهذا المرتد يعرف أن الدين يأمر بالعدل والإحسان والخير والحق، فإن رأى من أعمال المسلمين وأقوالهم ما يخالف كل ذلك، فلم يطعن الدين نفسه وينسلخ عنه؟ وهل هذا إلا دليلٌ على ما استقر في نفسه من الهوى والباطل الذي لا يستقر (مؤقتًا) إلا في شر النفوس وأخبثها.

سيحاسبك الله فردًا وحيدًا أيها المرتد المتعلل بأفعال فلان وعلان من المسلمين، فهل ستغني عنك انحرافاتهم أمام الله سبحانه وتعالى؟ وهل ترى -إن كنت عاقلًا ذا رأي معتبر- أنك أهلٌ لتحمّل عذاب النار وأهوالها والحرمان من نعيم الجنة وخيرها لأن غيرك قد انحط إليها بعصيانه وضلاله؟

ألا فليصمت كل من يتحدث بنبرة الشفقة على من ارتد عن الدين بسبب جهل بعض المسلمين ومعاصيهم، وليعلم أنه بقوله السخيف هذا يقوّي دواعي الهوى في نفوس هؤلاء المجرمين أعداء الله حقًا!

ونفس هذا القول ينطبق بدرجة أقل على من يتعاطف مع من خلعت حجابها، وخالفت أمر خالقها جل وعلا ابتزازًا لأهلها وزوجها، وتعريضًا بمساوئهم وأخطائهم.

ليس للإنسان ما يسوغ انحرافه عن الحق بعد معرفته سوى اتباع الهوى الذي يحط منه ويجعله مذمومًا مدحورًا عاريًا عن الخير والفضيلة.

-

قد يبدو من الموضوعية لأحدهم أن يناقش شخصًا ما بغرض التعرف على رأي شخص آخر بقطع النظر عن اقتناعه به أو صحة دليله. لكن الحقيقة هي أن ذلك مفضٍ للنسبية التي لا يكترث صاحبها باتباع حق ولا بإبطال باطل. فكأن هذا المناقش يقول: سأناقشك لأعرف حقيقة ما تقصده دون أن أهتم بكون ذلك صحيحًا أم غير ذلك.

وهذا تناقض ظاهر لمن تأمله.

-

قالت إحدى اللادينيات العربيات:

"مجرد إنزلاق "الإسلاميين" الراديكاليين لاستخدام مصطلحات الحرية/الديقراطية بدلا من "الشريعة/الأمر الإلهي" ومناقشة حرية ارتداء البوركيني بدلا من "الزي الشرعي" (اللي البوركيني يبعد عنه بخمسة آلاف فرسخ وحتّة) ده هزيمة للإسلاميين. وهزيمة مذلة كمان."

ومع تحفظي الشديد على كلمة إسلاميين لدلالتها المنفصلة عن واقع الإسلام الذي يستميت العلمانيون في مهاجمته تحت أغطية كثيرة، إلا أن كلامها صائب ومهم.

يكمن صوابه في أن المسلم الذي تشرّب الألفاظ المجملة كالحرية والديمقراطية سيواجه تناقضًا شديدًا إن أراد إقامة دينه على هذه الأساسات المهلهلة التي لا تتفق مع الإسلام، والتي لا يريد صاحبها أن يطردها إلى نتائجها التي يرفضها بحكم تدينه. فصار في برزخ بين الإسلام واللادينية، لا يطّرد مع أحدهما، بل يعيش بينهما متذبذبًا لا قرار له (وليس المقصود تكفيره بل الإشارة إلى تقصيره عن قيامه بواجبه الشرعي على أتم وجه).

وتكمن أهمية كلام اللادينية هذا في تنبيهه لنا على ضرورة تصحيح منطلقاتنا قبل تحقيق مصلحة مشتركة بيننا وبين أعدائنا.

ولا ينبغي محاجة العلماني بما يقتضي تصحيح مذهبه، إنما يحاجه المسلم بلازم مذهبه لتحقيق مصلحة يتقاطع معها وهي السماح بأداء الشعائر الإسلامية بلا تضييق وحجب.

فإن كنت ولا بد متفاعلًا مع قضية البوركيني هذه، فاحرص على ألا تنزلق في منزلق المداهنة والنفاق. فليس من حق المرأة أن تلبس ما تشاء بلا رقيب ولا حسيب. وليس من حقك أن تمتعض من ذلك لأن هناك فريضة عظيمة من فرائض الدين التي ضاعت وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل ستجحدها لبعض الأهواء الشخصية التي لن تنفعك يوم القيامة؟

-

أعظم شأن ودعوى يمكن أن يسمعها إنسان هي دعوى النبوة[1]*، فمدعيها إما أن يكون أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين "ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين" كما يقول شارح الطحاوية ابن أبي العز رحمه الله، فلا يتصور أن يترك عاقلٌ النظر في دعوى كهذه إلا لهوى تملّكه وأعماه عن الحق.

وإلا فكيف لعاقل أن يهمل كتابًا فيه أخبار عن الله عز وجل، والأمم التي كذبت دعوة أنبيائه ورسله، ومصيره بعد الموت، والغاية من خلقه، والسبيل إلى عبادة خالقه ورازقه المتفرد بالربوبية والمستحق للعبادة؟

---

[1] قال تعالى: ((**ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إلي ولم يُوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله**)) [الأنعام/93]

لا شك أن من يستهين به حقيقٌ بكل ذم وسخرية، لأنه استهان بحاجته إلى معرفة ذلك كله برغم حاجته الشديدة إليه التي تفوق حاجته للأكل والشراب والنكاح وسائر الملذات البدنية والنفسية.

*من الطريف أنني وقعت على كاتب نصراني محدث يقول بأن صحة الإنجيل أهم قضية في عصرنا، لأنه إن كان صحيحًا فهو كلام الله، وإن كان باطلًا فهو أعظم كذبة اخترعها البشر.

-

لا ريب أن التقدم الصناعي والعمراني عاملٌ في شيوع الكفر بالله[1] لما يورثه من التعلق بالدنيا، والإعراض الشديد عن الآخرة الموجب لنسيانها والجهل بها.

ولنا في قصص الأمم السابقة، وفرعون، وصاحب الجنتين، وغيرهم خير مثال. فجميعهم قد أنكروا البعث واستشهدوا بما يملكونه من مادة الدنيا وزخرفها.

-

ظاهر الكلام وسياقه حاكمٌ يفصل بين مقصودك من الكلام وفهم الآخرين له حال تعارضهما.

-

ليس كل ما خرج عن اهتماماتك سخيفٌ مرذولٌ.

وليس كل ما اهتممت به قيمٌ عظيمٌ.

ولا يجب أن يستحوذ كل عظيمٍ وقيمٍ على اهتمامك.

-

1 "وأهل العقول الصحيحة متفقون على أن الترقي المشاهد الآن إنما هو منحصر في الصناعات والمخترعات وما يحدث عنها من الأمور المادية، وأما ترقي الأرواح والأخلاق فإنه بالعكس"
(الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة المعارف، 1402هـ-1982م، ص43).

كثير من أغلوطات الفكر والنظر تنساب من الذهن تلقائيًا بلا حاجة لكثير تأملٍ ونظر، كافتراض أن الاقتران الزمني بين حدثين معينين دليلٌ على علاقة سببية بينهما، أو اجتزاء السياق عند نقد بعض مفرداته، أو الحكم على مقولتين بحكمٍ واحد لمجرد تشابه ظاهرهما، أو اطّراح فكرةٍ ما لأنها قد اجترت كثيرًا.

كل هذه الأغلوطات ونظائرها يمكن للعاقل أن يجتنبها ببعض التفكر، والتروي قبل التعجل في التصور ثم الحكم. وهذه العملية التي ينتقل العاقل فيها من بعض معلوماته إلى ما غاب عن ذهنه، بترتيبها في نظمٍ محكم متين لا تحصل بغير جهد وعناء يزول مع كثرة المراس والتمرين.

ووقوع غالب الناس في هذه المغالطات عائدٌ إلى عجزهم الذي تعلموه، واعتادوه حتى صار وصفًا لازمًا لهم لا ينفك عن أذهانهم. وهو ليس عجزًا لازمًا لنفس طبيعة عقولهم التي يتميزون بها عن المجانين والمخرفين.

فلا يُعذر عاقلٌ وقع في مغالطة بأنه قد انساب معها لبداهتها، فعجزه يمكن إزالته، وواقعه مخبرٌ عن عدم إرادته ذلك.

ونحن نجد في أنفسنا بعض الخواطر التي تقدح في صحة قرارتنا وأفكارنا التي نتبين لنا غلطها لاحقًا. والعاقل منا من يُعمل حدة ذهنه في هذه الخواطر قبل إفلاتها منه!

-

ليس بعد الخوف من عذاب الله وعقابه خوفٌ يردع الإنسان عن الشر والظلم، لأن العذاب الإلهي فيه كمال العدل، وغاية الانتقام من الظالمين، والتنكيل بالمجرمين. فكيف يُرجى أن يُخوّفَ عاقلٌ من عاقبة الشر وخوفه من عذاب الله زائلٌ من قلبه؟

-

[هل اتفاق العلماء الطبيعيين على نظرية معينة دليل على صحتها؟]

سؤال يتجاوزه الكثير من الناس عند احتجاجهم بأن نظرية كذا قد أجمع العلماء عليها، وأنها تُدرّس في كافة الجامعات والمؤسسات على صحتها وصوابها.

فإن كان الدليل موجودًا عند بعض أفراد هذا المجتمع العلمي، فلم الاستئثار بغيرهم؟ وإن كان الدليل لا يتحصل إلا باجتماعهم فما دليل العقل والحس والعلم على امتناع خروج الحق من مجموعهم وأنهم على صواب في فهمهم واستنتاجهم؟

فلو ادعى زيد أن نظريته صائبة، فهو مطالبٌ بالدليل. ولن يغني عنه الاحتجاج بأن عمرو قد وافقه في معتقده. لأن اعتقاد عمرو إن كان مبنيًا على دليل، فالدليل هو الحجة. وإن كان خاليًا من البرهان، فليس هو برهانًا بذاته.

ونفس ما يقال عن عمرو يقال عن نظائره من الناس مفترقين ومتواطئين.

فكأن المحتج بالإجماع العلمي يقول: كل هؤلاء العقلاء قد اعتقدوا صحة هذه النظرية، وهذا دليل على صحتها.

برغم أن اعتقادهم مفتقر للدليل والتعليل.

والرجال يعرفون بالحق ولا عكس إلا عند مطموس البصيرة ومرجوح العقل.

-

لا يسخر العاقل حقًا من فكرةٍ ما أو معتقدٍ ما إلا بعد علمه بما فيهما من باطل يستحق الازدراء والإهانة. أما ما يفعله كثيرٌ من الناس من السخرية المبنية على الجهل، والافتراضات المسبقة غير المبرهنة، والتحامل على الأقوال والأفعال بفهمها على غير وجهها، فباطلٌ يتنزه عنه العاقل.

-

لا يصح أن يقوم الحوار بين طرفين من غير أن يعرف كلٌّ منهما مرجعية الآخر ومنطلقاته، وإلا فهو مجرد تشغيب. لأنه لو اتفقت إرادتهما على معرفة الصواب في قضية معينة، فهذه النتيجة تابعة لمقدمات من الأدلة والحجج. وليس لهذه المقدمات وجود بغير أساس تُبنى عليه. فمن فقد الأساس، كان جديرًا بفقد مقدمات الدليل المفضية إلى نتيجته. ولن يبلغ النتيجة أبدًا حتى يقفز إليها بلا برهان أو دليل، وهي آية ظاهرة بنفسها على عدم إرادة الحق. والمعرض عن الحق ليس أهلًا للتوقير والاحترام، فضلًا عن الحوار والمناظرة.

-

أ: الحق في ذلك هو....

ب: لكن ما تراه حقًا يراه غيرك باطلًا. فكيف تلزمهم به؟ وهم...

أ: اخرس يا طالب الباطل! فما جادلتك إلا بيانًا للحق الذي أعتقده، والحق ثابت يجب اتباعه، بخلاف إدراكي له. فليتك لما اتخذتني خصمًا بيّنت قصور إدراكي للحق بالاحتجاج بالحق نفسه. ولكنك حاكمت الحق إلى إدراك الناس له، فأبلغت بذلك في بطر الحق وازدرائه. فخبت وخاب مسعاك.

-

قد لا تتمثل حاجة صديقك إليك في معرفة حلول مشكلاته الكبرى وأزماته العظمى. ولكنها تتمثل في اهتمام صادق تبذله له لتشعره بقربك منه.

-

يفقد الاعتراف الصادق بالخطأ قيمته مع تكرار الخطأ وتجدده دون تعلمٍ مما سبق، ولا اتعاظٍ بما عوقب به المخطئ.

ما دمت تركب نفس الخطأ ليل نهار ثم تعتذر عنه ببرود، فأنت لست بصادق في أسفك واعتذارك!

أسفك يقتضي ندمك على ما مضى، ورجاءك أن ينقطع، فكيف والحال أن أسفك يؤكد خطأك ويلحقه بآخر.

تقول (آسف) ولست بآسف.

تقولها لتطوي بها تلك الصفحة التي مسختها بخطك وفعلك، فإذا بك تنزع صفحة بعد الأخرى حتى كدت أن تفرغ الكتاب من أوراقه وصفحاته!

-

تتضمن كثيرٌ من المواقع الثقافية قوائم عشرية أو عشرينية للطغاة السفاحين السفاكين لدماء الناس، وهو جهدٌ مشكورٌ في تبصير الناس بالظالمين. إلا أنه يقع في شيء من الاختزال الملاحظ. فهي سرديةٌ تذكرُ خزايا هتلر وستالين وصدام حسين في حين تغفل الحديث عن أي رئيس أمريكي تورط في البلايا التالية: (حرب فيتنام - دعم الكيان الصهيوني وتنشئته بالمال الأمريكي - احتلال العراق وأفغانستان - غزو الصومال في التسعينات - وأخيرًا وليس آخرًا: طائرات الدرونز).

هذا الإغفال المتكرر يوحي إلينا بأن المجازر التي يرتكبها "الديكتاتوريون" و"الشموليون" أهون وأخف بكثير من جرائم "الديمقراطيين".

وكما أن هناك ظلمًا من أهل الدبابات والبنادق، فهناك ظلمٌ من أهل الصناديق والمجالس الانتخابية، والفرق هو في حجم الصورة التي يستغلها الإعلام للتشنيع بأحدهما دون الآخر.

-

تمت.

## [51]

## وصية أخيرة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد،

فإن الاستعداد لملاقاة الله عز وجل يقتضي التخفف من الدنيا، وتذكر الآخرة، والاعتبار بقرب الأجل، وترك طول الأمل، وإحسان الظن بالله. وآفات الدنيا كثيرة، منها: المرض، والفقر، وفقد الأحبة، والتغرب عن الديار، والظلم. وليس للدنيا قرار، فهي زائلة متقلبة مليئة بالابتلاءات والعجائب. وليس واحدٌ منا خلوًا من ذلك كله. والله يسترنا بجميل عفوه ومغفرته.

فكن على حذر من الموت، فإنه أقرب إليك من أي أملٍ تهيم به، وهو إذا جاء لا يؤخر عنك ثانية ولا ساعة.

إن دين الله الحق هو الذي يميزك عن سائر البشر الذين ضلوا في الحياة وما أدركوا منها سوى لذاذات تنقطع بموتهم، فاستشعر نعمة الهداية التي أسبغها الله عليك، وحصّنها من الزوال بشكر المنعم جل وعلا.

اتق الله ما استطعت، وجانب صغائر الآثام وكبائرها التي تجر عليك كل خيبة ووبال.

استعن بالصبر والصلاة فهما شعار المتقين.

تزود بعلوم الشرع الحنيف، وارتو منها، واستشعر شرفها بشرف معلومها.

[1] نشرت مسودة لوصيتي الأخيرة في مدونتي، وقد استفدت منها في كتابة هذه الكلمة.
http://abomalek1434.blogspot.my/2018/04/blog-post_15.html

تباعد عن شهوات البطن والفرج.

أحسن إلى والديك، وكن بارًا بهما ما استطعت.

كن من أهل الصدق.

عاشر الناس بخلق حسن.

لا تفوت يومًا بلا تلاوة لكتاب الله، ومطالعة لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

صاحب أهل الخير ومن يرتقون بدينك ودنياك.

حدث نفسك بالجهاد فهو شرف عظيم.

تعاهد نفسك بالمحاسبة.

إياك والظلم. إياك ومؤازرة الظالمين، وتأييدهم.

أحسن الظن بنفسك وبغيرك.

لا تنقطع عن طلب العلوم النافعة.

اصبر على فتنة الدنيا، فعمّا قريب ستزول.

أعز نفسك بالعفو عند المقدرة.

لكل فرح وترح نهاية وانجلاء.

سيحاسبك الله وحيدًا

تمت. أسأل الله أن يتم حياتنا على خير وفضل.

البراء بن محمد.

# الخاتمة

لم أشأ كما أسلفت في المقدمة أن أضع هذا الكتاب على طريقة كتب الزمان التي شاعت بين المؤلفين المبتدئين وهواة الشهرة. يجمع أحدهم متناثر تغريداته ومنشوراته، ثم يلفق بينها، وينظمها بخيط رقيق فيخرجها في نسيج مهلهل هزيل. ولذلك غربلت كثيرًا من المقالات التي أعجبت بها يومًا ما، لأن الإقبال على تسويد الكتاب ونشره يقتضي الارتقاء بالمؤلف والقارئ معًا إلى منزلة أعلى بكثيرٍ من مستوى التعبير في وسائل التواصل الاجتماعي.

وبعد فإني أرجو أن أكون قد وافقت مقصودي من وضع هذا التصنيف، وأسأل الله أن يثيبني لما اجتهدت من نشر للعلم النافع.

أتمنى أن يكون قد انتفع القارئ بما طالعه من كتابي هذا. أرجو أن تكون كلماتي هاته راسخة في عقله ووجدانه، وأن تكون خفيفة على روحه.

ولأننا نسعى جميعًا لتحقيق ما ينبغي لنا من الكمال، ولأن جهودنا ما فتئت ناقصة بقدر ما في نفوسنا وطباعنا من النقص، فقد أرفقت بريدي الشخصي مجددًا لعل أحدهم يدرك نقصًا في كتابي -ولا بد- فيطلعني عليه وأنتفع به.

كما أنني أذكر القارئ الكريم بأن يصلني منه بدعاء في ظهر الغيب، إن وجد نفعًا وأثرًا صالحًا مما سطرته هنا. وأرجوه أن يهدي كتابي هذا لمن أحب.

والله أعلم وأحكم.

البراء بن محمد

albara1500@hotmail.com

مساء الأحد 1440/2/5هـ - 2018/10/14م

# الفهرس